

عِبَادَ اللَّهِ



مُؤَسَّسَةُ الْوَفَاءِ
بِیروت

هَادِي الْمَدْرَسِيِّ

عِبَادَ اللَّهِ



هَادِيّ المدرسيّ

عِبَادَ اللَّهِ

مؤسسة الوفاء
بكيروت - لبنان

كافة الحقوق محفوظة ومبجلة
الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



مؤسسة الوقاء - بيروت - لبنان - طبع ١٤٥٧ - هاتف: ٢٧٧٣٢٥

مقدمة الناشر

هذه الكراريس الصغيرة الحجم والقليلة الاوراق ، هي في الواقع انفع للشباب ، وخاصة الشباب الحديثي الايمان ، من تلك الكتب والمجلدات الضخمة وذات الاجزاء العديدة ، فهذه الكراريس تمتاز اولاً : ببحثها للمواضيع الاسلامية المختلفة باختصار وانطلاقاً من الاساسيات .

وثانياً : بسلاستها وبساطتها بحيث انها في الوقت الذي لا يمل الشاب الحديث الايمان منها عند قراءتها ، تراها تلج قلبه مباشرة وبلا اي حواجز او عوائق .

من هذا المنطلق ارتأينا تقديم هذا الكراس للشباب المؤمن لما فيه من غذاء روحي وفكري رائع ، خاصة وانهم اليوم بأمس الحاجة للامام يامور دينهم ودنياهم من

اي وقت مضى لكي يصمدوا امام الهجمة العنيفة التي
يشنها دعاة المباديء الغربية المزيفة لحرف وازاغة قلوب
الشباب عن دينهم وايمانهم ، ناهيك عن ان هذا
الكراس يبحث في موضوع اساسي وهو بيان حال عباد
الله الحقيقيين ، ومن ثم كيف على الانسان ان يسعى
وماذا عليه ان يفعل ليستحق بصدق لقب (عبد الله)
كما يصفهم القرآن الكريم والحديث الشريف .

١٢ / جمادي الثاني / ١٤٠٥ مؤسسه الوفاء

١٤ / آذار / ١٩٨٥ بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا بن آدم . .

مازلت بخير ما كان لك

واعظ من نفسك

حديث شريف

المقدمة

المؤمنون ينظرون بنور الله . . .

ويتخلقون باخلاق الله . . .

نظراتهم تفكير . . .

وصمتهم تدبر . . وكلامهم حكم . . ومنطقهم
الصواب . . وعلاقتهم مع الناس علاقة حب
واخلاص ، وتقدير وعطاء .

فالمؤمنون ليسوا مجرد افراد لهم افكار خاصة ، بل
هم رجال لهم مميزات خاصة ، وسلوكهم اليومي ترجمة
لايمانهم القلبي ، ومواقف تجسيد لمعتقداتهم للحياة . .

من هنا جاء في اوساط المؤمنين انهم : ﴿ يمشون على
الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾
وانهم : ﴿ يبيتون لرهبهم سجدا وقياما ﴾ وانهم : ﴿ اذا

انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴿ وانهم ﴾ لا يشهدون
الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما ﴿ . . .

وكما يبدو من ذلك ، فان اولى مميزات المؤمنين ،
تلك المواقف الاخلاقية ، والمناقبيات الرسالية ، التي
يتعاملون عبرها مع الناس ، ولهذا كان : « حسن الخلق
أفضل الدين » كما يقول الامام علي (عليه السلام)
« وكان المؤمن لين العريكة سهل الخليفة والكافر شرس
الخليفة سيء الطريقة » وكان « المؤمن لنا سهلا مؤتمنا »
وحقا فان المؤمن « صدق اللسان ، بذول الاحسان » ،
كما « المؤمنون خيراتهم مأمولة ، وشروورهم مأمونة » ،
كما جاء في الروايات .

اذن : كم هو ضروري أن نتحدث عن « الاسلام
المناقبي » و « الاسلام الاخلاقي » و « المجتمع
الصالح » ، لهذا كان الكتاب الذي بين يديك ، حيث
جاء شمعة في هذا الطريق ، لعل الله يهدي بنوره عباده
الصالحين فيسعدوا في الدنيا والآخرة ، وهو نعم المولى
ونعم النصير .

هادي المدرسي
١٤٠٤/٢/١ هـ

دعاؤ..

اللهم .. صلّ على محمد وآل محمد . !

وبلّغ بايماني اكمل الأيمان . واجعل يقيني افضل
اليقين . وانتّه بنيتي الى احسن النيات . وبعملي الى
احسن الاعمال . !

اللهم .. سدّدني لأن اعارض من غشني بالنصح .
وأجزني من هجرني بالبرّ . واثب من حرمني بالبذل .
واكافئ من قطعني بالصلة . واخالف من اغتابني الى
حسن الذكر . !

اللهم .. حلّني بحلية الصالحين . والبسني زينة
المتقين : في بسط العدل ، وكظم الغيظ ، واطفاء
النائرة ، وضم اهل الفرقة ، واصلاح ذات البين ،
وافشاء العارفة ، وستر العائبة ، ولين العريكة ،
وخفض الجناح ، وحسن السيرة ، وسكون الريح ،

وطيب المخالقة ، والسبق إلى الفضيلة ، وإيثار
التفضل ، وترك التعيير ، والأفضال على غير المستحق ،
والقول بالحق وإن عَزَّ ، واستقلال الخير وإن كثر من
قولي وفعلي !

اللهم .. اجعلني من أهل السداد . ومن أدلة
الرَّشاد . ومن صالحى العباد . !

اللهم .. وفقني إذا اشتكلت عليَّ الأمور ،
لأهداها . وإذا تشابهت الأعمال ، لأزكاها . وإذا
تناقضت الملل لأرضاها .

اللهم .. هب لي صدق الهداية . ولا تجعل عيشي
كدّاً كدّاً . ولا تردّ دعائي علي ردّاً ، فاني لا اجعل لك
ضدّاً ولا ادعومعك ندّاً . !

من دعاء مكارم الأخلاق
الامام السَّجَّاد (عليه السلام)

غير المعروف من الاسلام

ينقسم الاسلام - بالنظرة البعيدة إليه - إلى ثلاث مجموعات رئيسية :

آ - مجموعة العقائد . والأسس الفكرية .

ب - مجموعة الدساتير . واللوائح القانونية .

ج - مجموعة القواعد السلوكية .

وهو كمجموعة عقائد ، معروف - وان لم يكن مفهوماً للكثيرين بعد - فليس هناك من لا يعرف الأصول الخمسة التي بُني عليها الاسلام :

كالتوحيد . العدل . النبوة . الامامة . المعاد .

وهو كمجموعة دساتير ، معروف أيضاً .

ولكن الذي لا يزال غير معروف بالمرّة من الاسلام

هو : مجموعته السلوكية .

غير المعروف من الاسلام هو بناء الاسلام المناقبي .

كيف نتعامل مع الأسرة ؟ مع الزوجة ؟ مع الأولاد ؟

ماهي العلاقات العامة التي يجب أن تسود المجتمع ؟

كيف يجب أن نتحاور ؟ أن نجلس ؟ أن نمشي ؟

كيف نلبس ؟ ماذا نلبس ؟ كيف نربي ؟

هذه هي الأشياء التي لا يعرفها المسلمون عادةً
ولذلك فهم يستوردون قواعدها من هنا وهناك .

والآخرون عرفوا نقطة الضعف هذه عندنا فروّجوا
بضائعهم عن طريقها .

الآخرون رأوا أننا لا نعرف كيف نمشي ؟ كيف
نتعامل مع الأسرة ؟ مع الزوجة ؟ كيف نتحاور ؟ كيف
نلبس ؟ كيف نربي ؟ فعلمونا كيفية ذلك ، وبسبب
جهلنا المطلق بهذه الناحية فقد « تعلمنا » منهم شاكرين
وأيادينا ملتصقة بصدورنا .

وهكذا - بين عشية وضحاها - تبدّلت العلاقات ،
وتغيّرت العادات ، وأصبحت « الموضات » الوافدة تسير

حياتنا حسب آخر تقليعات موسكو وباريس ولندن
ونيو يورك .

وتدخّل الآخرين في حياتنا السلوكية هذه شمل حتى
ديكور بيوتنا ، وتصفيف شعر نساتنا ، وطريقة حمل
الكتب تحت أبط تلاميذنا . .

ولأنّ « عبوديتنا » لسلوك الآخرين ، كانت عبودية
عنيفة ممتدة الجذور حتى الأعماق ، فقد أصبح بإمكان
مؤسسة في آخر الدنيا ، أن تتدخل في أستر جزء من
حياتنا ، وتلعب فيه كما تشاء ، من دون أن تكون لنا أية
سلطة عليها . .

من هنا فإنّ الغزوة الأخيرة التي تعرضنا لها تجسّدت -
عكس الغزوات السابقة - في الغزو السلوكي ، ثم
تعرجت على الفكر ، والعبادة ، والنظام .

فإذا كان المعتاد - على طول التاريخ - أن القوة الغازية
تعتمد إلى عقيدة الأمة فتنسفها نفساً كلياً ، ثم تغزوها في
دستورها فتمزقه ، ثم تفرض عليها السيطرة السلوكية
المتوخاة ، فإنّ الاستعمار استعمل معنا أسلوباً جديداً .
حيث بدأ ألف من وراء - مستخدماً الآلات والأجهزة

الحديث في ذلك - فبدأ بالغزو السلوكي ، ثم تدرج إلى
الغزو الفكري . .

وكان في تقدّم الحضارات الماديّة ، تكنولوجياً مادة
دسمة في غزوها ذلك .

هذه المرّة ، لم يقل الاستعمار لأبنائنا : اتركوا نبيكم
ودينكم وإلّا قتلناكم - كما فعل في الحروب الصليبية - .

ولا قال لهم : دينكم لا ينفعكم ، لأن أسسه
الفكرية غير سليمة - كما فعل في المرحلة التي تلت
الحروب الصليبية - . وإنّما جاء بخرائط جديدة
للسلوك ، وموضات لذيذة للبس ، والبناء ،
والمحاورة ، والعلاقات العامة ، وفي غياب من الأصول
السلوكية الإسلامية وغياب من الوعي بها ، قبلها
الأبناء ، وأدمنوها ، حتى إذا اعتادوا عليها - بحيث بدى
من الصعب تغييرها - عندئذ قال لهم الاستعمار : ان
هذا السلوك يخالفه رجال الدين . وان تلك الطريقة في
المعاملة تتنافى مع الإيمان بالله والجن والملائكة . وان هذا
اللون من الأخلاق لا يتناسب مع الحلال والحرام
والمكروه ، وما كان أمام الذين اعتادوا على ذلك اللون
المعين من السلوك خياراً إلّا أن يرفضوا كل من يقف في

وجهه أو يخالفه .

طبعاً لم يكن نوع من الملابس ، وديكور البيت ،
وطريقة المشي ، مهماً لولا أن ذلك جاء من أجل تمتين
العلاقات الجاهلية ، في غياب من العلاقات
الرسالية ..

ان عبادة « الموضة » في العلاقات ، وتغييرها حسب
اختلاف الرياح - ان شرقية فشرقية أو غربية فغربية -
ليست مهمة إلا من جهة انها تأتي كدليل على تمزق
المسلمين ، سلوكياً وانهايارهم ، أخلاقياً ..



.. ولكي نضع أول حجر في طريق بناء مجتمع
رسالي متماسك ، نقدّم هذا الكتاب الذي نرجو من الله
أن يضع فيه التأثير أنه قريب مجيب الدعاء .

البحرين - هادي المدرسي
٢٤ / محرم الحرام / ١٣٩٣ هـ

الطلوب
تجمع مناقبي

عندما يرفض الواحد منّا أن يؤمن بالملائكة والجنّ والأبالسة ، أو أي شيء مماثل ، فهو يعبر عن رفضه لموضوع فكري بحت .

وعندما يرفض أن يلتزم بالعبادات ، كالصلاة والصوم والحج ، أو أيّ أمر عبادي آخر ، فهو يعبر عن رفضه لموضوع عبادي بحت .

أمّا عندما يرفض أن يلتزم بسلوك إسلامي معين ، كالصدق والأمانة وحسن الخلق ، وما شابه ذلك ، فإنه يعبر عن رفضه لموضوع فكري . وعبادي . وأخلاقي في وقت واحد . .

لماذا ؟

لأن الذي يرفض السلوك الإسلامي لابد أن يكون
قد رفض مسبقاً حكمة الله الذي طالب به ، كما انه
لابد أن يكون قد رفض مسبقاً الخضوع لله في ذلك .

وهكذا يرفض كل شيء : الفكر والعبادة والسلوك ،
من يرفض السلوك وحده .

إنّ الايمان ، والعبادة ، محتوى قبل أن يكونا إطاراً ،
فالهدف من الإيمان هو الخضوع لله ، والهدف من
الخضوع لله هو العمل ، والعمل هو السلوك . .

ولذلك جاء في الحديث : « الدين . المعاملة »
وورد : « وهل الدين إلاّ الحب ؟ » .

فالهدف من الدين ليس هو مجرد إجراء تصحيح
فكري في مخ الإنسان ، وإنما هو تصحيح السلوك وبما
أن ذلك غير ممكن إلا بعد تصحيح الفكر فقد استهدف
الإسلام - أول ما استهدف - كنس الأفكار الباطلة من
الذهنيات .

ولهذا قال الرسول الأعظم ، وهو يحدد الهدف الأخير
من رسالته :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

أمّا الفكر الإسلامي في أصوله العقائدية فقد كان موجوداً في رسالات الأنبياء السابقين ، بينما الذي كان يحتاج إلى الإكمال هو : البناء فوق ذلك الفكر ، أي بناء السلوك والعلاقات العامة . وربما جاء استعمال كلمة « إنما » الدالة على الحصر في الجملة السابقة ، ليكشف عن حقيقة هامة هي : ان كل المسبقات الفكرية ، وكل العبادات إنما تهدف في الواقع تهيئة الإنسان للعيش في الجنة ، والتكيف حسب حضارتها وهي مهمة سلوكية ، أكثر من أن تكون فكرية . .

ولهذا فإن القرآن يعتبر الذي لا يتقيد سلوكياً بإرشادات السماء ، فيدّع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، يعتبره مكذباً بالدين فيقول :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ؟

﴿ فذلك الذي يدّع اليتيم !

﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَى طعامِ الْمسكينِ !

إنّ الآيات القرآنية ، والأحاديث . تأتي شديدة التأكيد عندما تتحدث عن الفضائل النفسية والسلوك الاجتماعي ، وتعتبر ذلك نتيجة الإيمان بالله والرُّسل والرسالات .

فيقول القرآن الكريم :

﴿ ولا تصغر خدك للناس . ولا تمش في الأرض
مرحاً . ان الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

ويقول : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً . .
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواماً . . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو
مروا كراماً . . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قررة اعين واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك
يُجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴾ .

ويقول : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً . . ﴾

ويقول : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا
يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين .
من جاء بالحسنة فله خير منها ، ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

إن الإيمان - في نظر الإسلام - التزام فكري بين
الإنسان وبين الله ، وهو وسيلة من أجل بناء مجتمع

القيم الذي تنبع مقاييسه جميعاً من مثله العليا .

من هنا فإننا نجد أن مادة « آمن » لا ترد في القرآن إلا وهي مقرونة غالباً بـ « وعملوا الصالحات » وإطار « العمل الصالح » يشمل العلاقات العامة والقضايا السلوكية .

ولأن العمل الصالح نابع من الإيمان ، وهو نتيجته فقد أصبح « حسن العهد من الإيمان » و « علو الهمة من الإيمان » و « النظافة من الإيمان » . وأصبح « التودد نصف الدين^(١) » و « الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد . ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا في إيمان لا صبر معه^(٢) » .

وهكذا فإن « السلوك المناقبي » يأتي كجزء لا يتجزأ من العقيدة . من الإيمان . من العبادة .

ولذلك ، فإنه لا يكفي في نظر الاسلام ان تكون عندنا عقيدة ، الأهم أن نمارس سلوك العقيدة . ولا يكفي أن نردّد شعارات الإيمان ، الأهم أن نطبق

(١) راجع « كلمة الرسول الأعظم » .

(٢) راجع نهج البلاغة .

الشعارات ونحوها إلى واقع حي نعيشها في ممارسة الحياة . لا يكفي أن نقول - ونحن في الصلاة - « أياك نعبد » ونحن من أجل المادة ندوس على كل القيم الانسانية . لا يكفي أن نقرأ القرآن ونحن « غشي في الأرض مرحاً » أو « نسرق » أو « نقتر » أو « نشهد الزور » أو « نريد العلو والفساد في الأرض » أو « نأتي بالسيئات » ..

ان الاسلام يرفض بشدة إعتبار « الخلق » و « السلوك » قضية منفصلة عن « الايمان » و « العقيدة » وعندما يهدف الاسلام بناء عقيدة في شخص ما ، فهو لا يحاول بناء عقيدة خاوية لا زرع فيها ولا نبات ، وإنما يهدف بناء « برج » للأيمان . . يرش النور على طريق العمل والسلوك .

ونجد في السّور المكية التي كانت بداية عمل الرّسول ، تأكيداً شديداً على السلوك إلى جانب تأكيدها على الايمان والعبادة :

﴿ ويل للمطففين !

﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون

ليوم عظيم؟^(١) ﴿

.. ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ،
فيقول ربِّي اكرمني . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ،
فيقول ربِّي اهانني . كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا
تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ، وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا
وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا^(٢) ﴾ .

.. ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ . قُمْ فَانْذِر . وَرَبُّكَ فَكَبِّرُ .
وَتِيَابُكَ فَطَهِّرُ . وَالرَّجْزُ فَاهْجُر . وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ .
وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴾ .

.. ﴿ كُلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً . إِلَّا أَصْحَابَ
الْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ الْمَجْرُمِينَ . مَا
سَلَكَكُمْ فِي سَفَرٍ ؟ قَالُوا :
لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ وَلَمْ نَكُ نَطْعَمِ الْمَسْكِينِ ، وَكُنَّا
نَخْوِضُ مَعَ الْخَائِضِينَ^(٣) ﴾ .

وهكذا فإن الإيمان كان يجري شحذه جنباً إلى جنب

(١) سورة المطففين .

(٢) سورة الفجر .

(٣) سورة المدثر .

مع السلوك . . لأنه قضية واحدة لها جانبان : فكري
هو الإيمان ، وعملي هو السلوك .

وإذا كان هنالك إيمان ، ولم تكن هنالك مناقبيته في
السلوك ، فإنه لابد أن نشك في وجود الإيمان .

يقول الرسول الأعظم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب
لنفسه » .

ويقول : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه .
ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

ويقول : « من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس
منهم » .

ويقول : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » .

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« ليس منا من لم يوقر كبيراً ولم يرحم صغيراً » .

وقد يبدو « إطعام الجار » أو « توقير الكبير » أو
« الترحم على الصغير » أو ما شابه ذلك أموراً بسيطة
فيندهش الإنسان من ربط وجودها بوجود الإيمان ،

وعدمها بعدم الإيمان ، ولكنها في الواقع عظيمة وخطيرة
لما تحمل من دلالة على خصوبة أو لا خصوبة الإيمان . .

إن « النتيجة العملية » هي المهدوفة من الإيمان
ولذلك أصبحت علامة الإيمان مواقف الإنسان العملية
وسلوكه الأخلاقي .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« علامة الإيمان : أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على
الكذب حيث ينفعك ، وأن لا يكون في حديثك فضل
عن عملك ، وأن تتقي الله في حديث غيرك » .

ومن هنا كان : « المسلم : من سلم المسلمون من
يده ولسانه » ، بينما أصبح الذي يُرْخي يده ولسانه على
الأخرين غريباً عن المسلمين .

إذن : فالمسلم الحقيقي ليس هو الذي يكثر العبادة
الفارغة ، لأن العبادة لا تعني شيئاً إذا كانت عاجزة عن
فرض المناقبية في السلوك .

فإذا كان المسلم صادقاً في عبادته ، فلا بد أن نبحث
عن صدقه في عمله .

سُئِلَ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - : بم
يُعرف المؤمن ؟

فأجاب - : بوقاره . ولين كلامه . وصدق حديثه . !

وسئل - : أيّ المؤمنين أفضلهم إيماناً ؟

فأجاب - : أفضلهم خلقاً . !



ولأن المناقبة في السلوك هو الهدف من بعث الأنبياء ،
فأنها اعتبرت أثقل شيء يوضع في ميزان الإنسان . .
« ما يوضع في ميزان امرء يوم القيامة أفضل من حسن
الخلق » . .

لماذا ؟

« لأن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصح
لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ^(١) .

واصبح حسن الخلق سبباً من أسباب إزابة
المعصية . .

« ان حسن الخلق يميت الخطيئة كما تميت الشمس
الجليد » .

(١) كلمة الرسول الأعظم .

وأصبح - بالعكس - سوء الخلق مفسداً للعمل ،
« كما يفسد الطين العسل » .

ومن هنا نرى أن الأئمة يعطون هوية أتباعهم من
مادة سلوكية فيقولون :

« اختبروا شيعتنا بخصلتين ، فإن كانت فيهم فهم
شيعتنا ، محافظتهم على أوقات الصلاة ، ومواساتهم مع
إخوانهم المؤمنين بالمال » كأن الصلاة جزء من المواساة ،
وكأن المواساة جزء من الصلاة . . صديقان قديمان بهما
يعرف التابع الصادق ، من المنافق المخادع . .

ومن هنا أيضاً قال الرسول الأعظم :

« عليكم بمكارم الأخلاق فإن الله عز وجل بعثني
بها ، ومن مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عن ظلمه ،
ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، ويعود من لا
يعوده » .

وهكذا يطالب الإسلام بمناقبية رسالية ، تعطي من
لا يعطي ، وتعفو عن لا يعفو ، وتصل من يقطع
وتعود من لا يعود . .

وهي بذلك تختلف عن المناقبية التجارية التي تحترم

من يحترم وتعفو عمن يعفُو ، وتصل من لا يقاطع ،
كقضية تجارية : فيها مبادلة المثل بالمثل ، من دون أن
يكون هناك البذل السخي من أي جانب . .



ويقول الإمام علي (عليه السلام) :

« الإيمان والعمل أخوان توأمان ، ورفيقان لا يفترقان
لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه » .

ولأجل ذلك ، فقد أصبحت الخصلتان الأعظم في
الحياة هما : « الإيمان بالله . ونفع الأخوان » ولهذا فإن :
« أسرع الخير ثواباً البرّ » و « أكثر ما يُدخل الجنة
الناس : تقوى الله . وحسن الخلق » و « إن أهل
المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة . وإن
أول أهل الجنة دخولاً هم أهل المعروف » و « إن في
الجنة بيتاً يقال له بيت الأسخياء » - كما ورد في
الأحاديث -

وتأتي الوصية : « افعل الخير إلى كل من طلبه منك ،
فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه ، وإن لم يكن له
بالأهل فأنت أهله ، وأن شتمك رجل عن يمينك ثم

تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل منه » .

وهذه هي المناقبية الرسالية التي لا تقصد من
« طيها » و « نفعها » سوى رضا الله ، وتحقيق الإيمان
الصادق .



وإذا كانت « المناقبية الرسالية » ضرورية من أجل
تحقيق الإيمان الصادق ، فهي ولا شك أكثر ضرورة لمن
يدعو الناس إلى الإيمان الصادق . .

فالمؤمن الرسالي . ليس هو الذي يحفظ الإسلام عن
ظهر قلب ، ويعرف كيف يشرحه للناس ، تماماً كما
تشرح آلة التسجيل - عبر الشريط - ما تلقن به . .
الإسلام يرفض أن يتحول إلى دكان حلاقة يتاجر به
حملته ويقول :

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل
الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات
الله . والله لا يهدي القوم الظالمين » .

الإسلام لا يعترف إلا بالمؤمن الذي تتجسد فيه قيمه

الخلقية ، ومبادئه السلوكية ، كلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً .

فالمقياس ليس هو معرفة الإسلام ، وإنما هو العمل المخلص به وتنفيذ إرادته . فكم من اناس يعرفون الإسلام ولكنهم أبعد الناس منه ؟ وكم من اناس لا يعرفون الكثير منه وهم أقرب إليه من جبل الوريد ؟ كم حفظة للقرآن وهم ملعونون فيه ؟ وكم من حَمَلَة للدين وهم الأشقياء به ؟

وإذا كنا نسعى من أجل خلق جيل مؤمن فلا بد أن نطبق في أنفسنا متطلبات الإيمان ، ولا بد أن نحمل معنا كفاءات هذا العمل .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته ، قبل تأديبه بلسانه . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالأجلال من معلم الناس ومؤدبهم ^(١) » .

إذن . . فالمؤمن الرسالي . ليس شمعة تحترق هي

(١) ألف باء الإسلام ص ١٨٣ .

بينما تضيء للآخرين فحسب ، وإنما هو واحة خصبة
تتمتع أشعة الشمس وتعطيها ثماراً ناضجة للآخرين .

المؤمن الرسالي هو الذي تعرفه بأعماله ومواقفه كما
قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« ان المؤمن من عباد الله لا يحيف على من ييغض .
ولا يأثم فيمن يحب . ولا يضيّع ما استودع . ولا
يخسد . ولا يطعن ولا يلعن . ويعرّف بالحق وان لم
يشهد عليه . ولا يتناز باللقاب . في الصلاة متخشع .
إلى الزكاة مسرع . في الزلازل وقور . في الرخاء
شكور . قانع بالذي له . لا يدّعي ما ليس له . ولا
يغلبه الشح عن معروف يريده . يخالط الناس كي
يعلم . ويناطق الناس كي يفهم . ان المؤمن يأخذ
بأدب الله^(١) » .

وكما قال الإمام علي (عليه السلام) :

« المؤمن سهل الخليفة . لين العريكة . نفسه أصلب
من الصلد ، وهو أذل من العبد^(٢) » .

(١) كلمة الرسول الأعظم .

(٢) نهج البلاغة .

وهكذا فإن المؤمن الرّسالي يجعل من نفسه نموذجاً
تطبيقياً للمجتمع الرّسالي ، فينفذ في نفسه كل ما يريد
تنفيذه . على مجتمعه ، ويحاول هداية الناس بالمواقف ،
والأفعال .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ، ويرجو
التوبة بطول الأمل . يقول في الدنيا بقول الزاهدين ،
ويعمل فيها بعمل الراغبين . إن أعطي منها لم يشبع ،
وان منع منها لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي ،
ويبتغي الزيادة فيما بقي ، ينهى ولا ينتهي . ويأمر بما لا
يأتي . يحب الصالحين ولا يعمل عملهم . ويبغض
المذنبين وهو أحدهم . يصف للعبرة ولا يعتبر . وببالغ
في الموعظة ولا يتعظ ، فهو بالقول مدّل وبالعمل
مقل^(١) . »



ان المطلوب : رجال يلتزمون بروابط الإسلام في
علاقاتهم مع أنفسهم ومع الناس ومع الأحياء .

(١) نهج البلاغة .

المطلوب : رجال مناقبيون ينبذون القيم الجاهلية التي تحكم دنيا اليوم : ينبذون التعالي ، ويستبدلونه بالتواضع . ينبذون سوء الظن باخوانهم ، ويستبدلونه بحسن الظن بهم . ينبذون الاحتقار للناس ، ويستبدلونه باختيار أجمل الألفاظ إلى سمع مخاطبيهم .

المطلوب : رجال لا يسمحون لأنفسهم الهبوط إلى مستوى عبادة الراحة والتعالي واللّمز والغمز بالآخرين .

المطلوب : رجال يفهم بعضهم البعض ، ويعيشون كأسرة واحدة. تحكمها الثقة المتبادلة والحب الأخوي الصادق والتواضع المتين .

المطلوب : تجمع نموذجي مؤمن ينبع قوله من عمله : ويكون رمزاً لجمال الدين في كل شيء :

آل في المظهر الذي يجب أن يكون أنيقاً ونظيفاً ما دامت النظافة والأناقة جزء من الإيمان « النظافة من الإيمان »

ب - وفي المحاورة ، ما دام « ان الله يأمر بالحنى » ﴿ وقولوا للناس حنى ﴾ ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ﴾ .

وفي انبساط الوجه « المؤمن هَشْ بِش » « المؤمن
حزنه في قلبه وبشره في وجهه » .

إنَّ مثل هذا التجمع المناقبي ، هو الذي يستطيع أن
ينشر النور على طريق الإنسان ، ويرفعه إلى قمة المجد
والعزة والكرامة . .

البحث عن السعادة

أنك تفتش عن المال ؟

لماذا . ؟

لكي تتزوج ، وتأكل ، وتشتري البيت ، وتسافر .

ولكن : لماذا تريد أن تتزوج ، وتأكل ، وتشتري

البيت ، وتسافر ؟

لأنك تشعر بالسعادة من ذلك كله . أي تشعر بنوع

من اللذة معها .

فإذن فأنت تفتش عن السعادة . .



وغيرك أيضاً الذي يفتش عن أشياء الحياة ، فإنه

يفعل مثلك . .

فالشاب الذي يدخل المدرسة ، ويسهر الليالي ،
ويقضي عمره في المختبرات . لماذا يفعل ذلك ؟

إنَّه - بالطبع - يبحث عن المستقبل ، عن الوظيفة ،
عن المنصب ، ولكن : لماذا المستقبل ، والوظيفة ،
والمنصب ؟

لأنَّه يشعر بلذة عندما يمارس وظيفته كرئيس لقسم ،
أو عندما تستريح الشارات على كتفيه ، ويرفع الجنود له
التحية ، فهو إذن يسعد بذلك ، ومن ثم فانه يعتبر
ذلك سبباً من أسباب اللذة . فهو أيضاً يفتش عن
السعادة .



وأيضاً . . فالفقير الذي يقرع الأبواب طالباً فتاة
الطعام . لماذا يفعل ذلك ؟

حتى يصبح غنياً ؟

ولماذا الغنى ؟ إنَّه بالطبع يعتبر الغنى نوعاً من
السعادة .



وحتى الطفل الذي يبحث عن الفراش الوثير ،
والشنطة الأجل ، والدفاتر الزرقاء ، فانه يفعل ذلك
لأنه يحس مع ذلك بنوع من السعادة ..

وهكذا نرى أن جميع زوار هذه الحياة ، إنما يبحثون
في أسواقها عن « بضاعة » واحدة هى : السعادة ..

والسعادة ، تبدو للإنسان دائماً كالسراب كلما وصل
إليها الإنسان ترائت له في مكان آخر ..

إذن يبدأ الإنسان رحلته باتجاه السعادة منذ أول
يوم ، ولكنه يموت وهو لا يزال يبحث .. فما يراه اليوم
وسيلة للسعادة ، عندما يصل إليها يشعر بأن السعادة
قفزت إلى مكان آخر ، وانها أصبحت أبعد منالاً من
السابق .

فالفقير يفتش عن السعادة في بيوت الأغنياء ،
والوضيع يفتش عنها في قصور العظماء ، والقبيح يفتش
عنها عند الجميل ، بينما لو نبشت قلب أكبر ثري وأعظم
أمبراطور ، وأجل فتاة ، وصاحب أكبر معمل ، لرأيت
أن السعادة أبعد عندهم منها في قلوب الفقراء والبسطاء
وأصحاب الوجوه البشعة . فعندما لا يكون الإنسان

مالكاً لشيء فانه يتصور انه هو نبع السعادة ، ولكنه
سرعان ما يكتشف خطأه عندما يجلس على ضفافه . .
فالدنيا - كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) - :
« مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً
حتى يقتله » .

ولأن الإنسان يخيب ظنه كلما بحث عن السعادة .
كما يخيب ظن العطشان وهو يشرب ماء البحر حتى انه يموت
وهو يبحث عنها ، لذلك فقد اعتقد الكثيرون من
المفكرين - في مختلف أدوار التاريخ - ان السعادة
« هدف » خيالي لا يمكن الحصول عليه .

وقد قام بعض الهنود برحلة حول العالم بحثاً عن
السعادة في أية زاوية ، ولكنهم عادوا إلى بلادهم بنتيجة
واحدة هي « ان السعادة أمر موهوم لا وجود له في أي
مكان » و « ان الذي يبحث عن السعادة يكون عادة من
أشقى الناس » .



ولكن . . هل صحيح ان السعادة أمر موهوم ؟
قبل الإجابة على ذلك لابد أن نعرف ماذا تعني

السعادة ؟ وعلى ضوءه نعرف هل هي حقيقة أم خيال ؟

ان السعادة إذا فسّرت بتحقيق أحلام كل إنسان على وجه الأرض فهي حتماً « وهم » ، بل انها من أضخم الأوهام . ذلك لأن الإنسان لا يكف عن الأحلام ، فلو فرضنا انه إستطاع أن يحقق كل ما كان يحلم به في يوم من الأيام ، فلا شك انه سيبقى بأشياء أخرى ، ويبحث عنها ، وهكذا تصبح « الأحلام المحققة » عنده بلا طعم فهي لن تعطيه السعادة .

هذا ، بالإضافة إلى أن الدنيا ليست « معمل تحقيق أحلام » وإنما هي « قاعة إمتحان » خلقها الله لاختبار الناس فيها : ﴿ احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴾ . أما تحقيق الأحلام فقد أجلها الله إلى الآخرة ، هناك حيث يجد المؤمنون :

« مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ

بَشَرٍ » .

وإذا فسّرت السعادة بالإنسجام مع الواقع - واقع الحياة ، وواقع الطبيعة البشرية ، وواقع السنن الكونية - فإن تحقيقها ليس فقط أمراً ممكناً ، بل وقريباً أيضاً . إذ

من الممكن تحقيق الإنسجام مع النفس والحياة ، بدليل
إن كثيرين فعلوا ذلك ، واعترفوا بأنهم يعيشون في خيمة
السعادة ..

فما هو المقياس في ذلك ؟

طبيعي إن مقياس السعادة ليس شيئاً خارجياً ، إنما
هو إنسجام الداخل مع الخارج ، فليس المال الخارجي
هو الذي ينبت السعادة ، وإنما الذي ينبتها هو إنسجام
الإنسان مع المال ، أو أي شيء خارجي آخر ..

إن الوصول إلى السعادة يتطلب معرفة الحياة
البشرية ، والسنن الكونية ، حتى يستطيع الإنسان عقد
إنسجام بينهما .

ولكن كيف نتعرف على السنن الكونية ، ونحن لا
زلنا نجهل ألف باء هذه السنن ؟

والجواب : نتعرف عليها عن طريق الله : خالقها
ومبدعها ، ومديرها ..

وأما الطبيعة البشرية ، فأننا نعرف الآن ، أن لها
جانين :

الجانب الأول - مجموعة الرغبات ، والدوافع
الجسدية .

الجانب الثاني - مجموعة الرغبات ، والدوافع
الروحية .

ومتى ما تمَّ الانسجام بين رغبة الإنسان - الجسدية أو
الرُّوحية - مع « الشيء » الخارجي عندئذ يتم تحقيق
السعادة .

فمثلاً عندما يتم الانسجام بين الجنس في الإنسان مع
الخارج ، أي تحقق الرغبة الجنسية بالتلاحم مع
« الأنثى » فإن السعادة الجسدية تتحقق من هذا
الجانب ..

وعندما يتم الانسجام بين رغبة « الخلق الجميل » في
النفس البشرية مع الخارج ، ويصبح الإنسان محققاً له
خارجاً ، عندئذ تحقق السعادة الروحية ..

وبما أن جانبي الإنسان مترابطان متشابكان فأنَّ
السعادة الحقيقية لن تولد إلا إذا تحقق الانسجام
الجسدي والروحي معاً . . أما من دون ذلك فلن تأتي
السعادة إلا ناقصة ، أو مشوبة بالشقاء .

مثلاً : لو حقق الإنسان رغبة الأكل عنده عن طريق الكسب الحلال ، فإنه يكون حين تحقيق هذه الرغبة منسجماً مع « المادة الخارجة » وهي مواد الأكل ، ومنسجماً مع أوامر ضميره . فهو إذن مرتاح الجسد والضمير معاً . .

أما لو حقق هذه الرغبة عن طريق السرقة مثلاً ، فإنه سيحس بسعادة جزئية ، لا تستمر أكثر من دقائق بينما سيحس بالشقاء الروحي ، من جراء تأنيب الضمير . .

إذن : فالسعادة هي في الانسجام الجسدي ، والروحي ، مع طبيعة الحياة الإنسانية .

و « مواد » الحياة الإنسانية هي أشياء هذه الحياة ، أما الروابط التي تعقد الانسجام بين هذه المواد وبين الإنسان فهي :

أ - الإيمان .

ب - العمل الصالح .

ج - التواصي بالحق .

د - التواصي بالصبر .

يقول القرآن الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر . . ان الانسان لفي خسر ! إلا الذين آمنوا . وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق . وتواصوا بالصبر ﴾ .

فكل إنسان خاسر في صفقة الحياة ، لو لم يكن مؤمناً يعيش في « مجتمع مؤمن » .

« فالإيمان ضرورة حضارية هامة ، فهو يكرّس ميزة البشر عن سائر الأحياء ، لذلك فليس من نعمة في الحياة إلاّ هي رهينة الإيمان بصورة مباشرة أو غير مباشرة . .

« ولأن الإنسان لا يتقدّم إلاّ حينما يجد أمامه قيمة يتطلع إليها ، فأن الإيمان هو رمز تقدم البشرية لأنّه يعطي لها قيمة سامية يتطلع نحو تحقيقها وتطبيق مثلها العليا .

« ولذلك فأن طلائع البشرية المتقدمة نحو آفاق الحضارة والرقى ، أنما إنبثقت من رحاب الإيمان . . بالله تعالى ، وتزوّدت بطاقة التوكل عليه والثقة في

رحمته ، وتابعت بذلك مسيرتها المباركة نحو التقدم والازدهار .

« ويسجل التاريخ بوادى الحضارات الإنسانية ، ويذكر كيف أنها ابتنت بفضل أجيال مؤمنة طليعية وأبسط الأمثلة التاريخية وأروعها كذلك نجده متمثلاً في الحضارة الإسلامية التي أعطت البشرية الكثير في كل حقول العلم والفضيلة ، والتي لم تكن لتنبثق إلا في حضيرة الإيمان^(١) . .

فالإيمان شرط من شرائط السعادة ، لأنه يضع الإنسان في طريق الانسجام مع السنن الكونية العليا ، ولهذا نجد أن البشرية الفاقدة للإيمان ليست أكثر من جسد ميت لا روح فيه . كما أن الأمة التي لا إيمان لها ، أمة خاسرة يعيش فيها الشقاء .

فالإيمان وحده القادر على منع الاستغلال ، والاحتكار ، والظلم ، وهو وحده القادر على إخماد الأحقاد والعداوات التي تثير الحروب .

(١) الإيمان والحضارة ص ٩ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله
أتقاكم ﴾ .



ولو ضربنا الايمان ، فماذا يبقى البديل عنه ؟

يقولون : العلم . فالشعب المتعلم المثقف لا يحتاج
إلى الايمان ليمنع الاحتكار والاستغلال والظلم . . فلو
تعلمت البشرية ١٠٠٪ لاخفت الحروب والأحقاد ،
والظلمات . .

ولكن : إذا كان الأمر كذلك فلماذا نرى أن أكثر
الشعوب المثقفة ، الحاملة لمشاعل الحضارة هي التي
تمارس الظلم ، والاحتكار ، والاستغلال مستخدمة في
ذلك « العلم » ذاته ؟

إن العلم سلاح ، ولا يمكن أن يخلق « وازعاً
داخلياً » لأنه ليس ضميراً ، وإنما هو مجرد سلاح وبمقدار
ما يكون هذا السلاح قوياً وقاطعاً فان البشرية تكون -
بنفس المقدار - محتاجة إلى الضمير ، والوازع ، لكي
يمنع من إستخدامه .

من هنا فان المعادلة الصحيحة تقول :
كلّما إرتفعت درجة الحرارة في « ترمومتر » العلم ،
فأن حاجة الإنسان إلى تعميق الايمان تزداد بنفس
المقدار .

أما العلم ، بلا إيمان فهو النذي خلق الحروب
والرعب النووي وقضى على الملايين . . ولا شك أن
هذا العلم أكثر خطراً من الجهل المطلق .

أتريدون مثلاً على ذلك ؟ أن حامل البضائع البسيط
لا يستطيع أن يكون خطيراً إلى درجة الحائز على شهادة
الدكتوراه في السياسة ، فحامل البضائع عندما يتحول
إلى سارق مثلاً ، فهو لا يستطيع أن يسرق أكثر من
صندوق تفاح ، وغالباً ما يقع في قبضة البوليس . أمّا
الحائز على شهادة الدكتوراه في السياسة فهو إذا تحول
سارقاً ، فلن يسرق صندوق تفاح . . أنه يسرق - إذ
ذاك - شعباً بأكمله ، من دون أن يقع في قبضة البوليس
لأنّ البوليس حينئذ يكون جزءاً من كيانه . جزءاً من
سلاحه . فالعلم إذن لا يمكن أن يسعد البشرية . بل
بالعكس يستطيع أن يشقيها إذا تجرّد من الإيمان .

خذوا مثلاً على ذلك : عندما كانت البشرية تموء في

الجهل ، كانت الحرب الواحدة لا تخسرها أكثر من الفين أو ثلاثة آلاف رجل - على أكثر تقدير - ولكنها عندما امتلكت « سلاح » العلم ، وبدأت تنتج - نتيجة امتلاك العلم - الطائرات الضخمة ، والصواريخ ، ومختلف الأسلحة الفتاكة ، فإن الحرب البسيطة أصبحت لا تقتنع برؤوس عشرات الألوف ، وإنما تعدتها إلى الملايين^(١) .

ان العلم كالحكمة ، إذا وقع في يد من لا يحمل ايماناً تحوّل إلى سلاح قاتل وخطير ، بينما إذا ملكه قلب فيه إيمان تحوّل إلى عامل أسعاد ، وخير . ومن هنا قال الإمام علي (عليه السلام) :

« لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم » .

انّ الكثير من الجرائم التي تقع في كل أنحاء العالم انما يرتكبها الفارغون من الإيمان . إذ هل يعقل أن يقدم - مثلاً - من يملك الإيمان على بيع الرقيق الأبيض ؟ أو هل

(١) انتهت مؤخراً الحرب الفيتنامية ، بعد أن طحنت ثلاثة ملايين إنسان .

يعقل أن يتاجر بالمواد المخدرة من يخاف الله ؟

أما ما يقع من ذلك كله فهو نتيجة فقدان الإيمان .
وهكذا فإن كل إنسان يكون خاسراً لنفسه ول مستقبله ،
ل دنياه ولآخرته « إلا الذين آمنوا . . لأنهم فقط
القادرون على الترفع إلى مستوى الإنسان ، لأن إيمانهم
يكشف لهم عن تفاهة الحياة إلا إذا كانت معها قيم . .
وهم وحدهم القادرون على وضع الكرامة ،
والإنسانية ، فوق قضايا المادة والمصالح . انهم - كما قال
الإمام علي (عليه السلام) - :

« فتية عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما سواه في
أعينهم » .



وكما أن الإيمان شرط من شرائط السعادة البشرية
كذلك العمل الصالح « ذلك لأن الإيمان محتوى وليس
إطاراً . . الإيمان عمل أكثر من أن يكون اعتقاداً ،
فروح الإيمان هي تذليل النفس حتى تستطيع أن تنفذ
التوجيهات الصادرة إليه .

أما الإيمان الفارغ من « العمل الصالح » فإنه لا

يعكس إلا الخداع والدجل .

فالأمة التي تدّعي - ادعاءً فارغاً - انتحال الإيمان هي
أمة فاشلة لا تختلف من حيث الشقاء عن الأمة التي لا
إيمان لها .

وهكذا تأتي صفة العمل الصالح ، مباشرة بعد صفة
الإيمان ، لتكون الشرط الثاني من شروط تحقيق
الانسجام بين الإنسان وبين الطبيعة البشرية والسنن
الكونية . .

﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا .
وعملوا الصالحات .



وإذا صمّمت أمة على التحلي بالإيمان والعمل
الصالح فهل تستطيع ذلك ؟

إن مجرد الإيمان والعمل الصالح قد لا يكون كافياً
لتحقيق السعادة ، إذ لابدّ من وجود ضمانات اجتماعية
للتزام بهما . .

وأحسن ضمانات هو : « التواصي » أي اعتبار كل فرد

نفسه مسؤولاً عن سعادة الآخرين ، لأن إشاعة روح المسؤولية الاجتماعية يخلق رادعاً إجتماعياً يصبح بمرور الزمان « حزام أمان » حول السعادة للإنسان الذي يعيش في مجتمع مؤمن . .

وإذا ما تعرض المجتمع السعيد لأية هجمة خارجية مادية أو معنوية ، فإن كل فرد سيعتبر نفسه مسؤولاً عن الدفاع ، ومسؤولاً - أيضاً - عن تجنيد الآخرين للدفاع ، ويوصيه بالصبر .

فالذين يعيشون وحدهم في ظل الإيمان لا يمكن التنبأ بمستقبل أمرهم ، فالامة - اية امة - لا يمكن أن تكون امة رسالية إلا إذا آمنت بالرسالة ، وعملت بينودها ودعت إليها . . كذلك .

فالإنسان الواحد - أو المجموعة من الناس - لا يمكن أن يعيش وحده - أو تعيش المجموعة وحدها - طيباً بين اناس خبيثاء ، فلا بد أن يكون هناك « جو طيب » أو طيب شامل ، وهذا لا يتم إلا إذا أوصى الآخرين بالطيب ، بالحق ، بالصبر ، وبكل خلق كريم مماثل .

وأنه لأمر واضح : أن التعاون في الطيب ، والحق ،

والخير هو ضمانه استمرارها ، وإلاّ فأب الشيطان لن يسكت على محاولات الطلائع المؤمنة التي تريد أن تعيش الإيمان قولاً وعملاً . عقيدة ونظاماً . خلقاً وضميراً .

فكل فئة مؤمنة لا بد أن تُحارب .
هل هناك أعظم من الأنبياء ؟ ثم هل نجد نبياً في التاريخ لم يحاربه قومه ؟

وإذا كان الأنبياء قد تعرضوا للمحاربة ، والرفض ، فهل تسلّم أمة فئة أخرى من ذلك ؟

إذن فلا بد من الصبر . ولا بد من الانسجام مع هذا القانون : كل عمل طيّب تقابله محاولة خبيثة لهدمه .
وإذا ما تم الانسجام مع هذا القانون فأب التواصل على الحق والصبر على محاولات الشيطان يكون نوعاً من المتعة . ومن ثمّ نوعاً من السعادة .

يقول الله تعالى :

﴿ .. وتواصوا بالحق . وتواصوا بالصبر ﴾ .
وهكذا نجد أنّ شروط تحقيق « السعادة الممكنة »
على وجه الأرض هي :
آ - الإيمان .

ب - العمل الصالح .

ج - التواصي بالحق .

د - التواصي بالصبر .

يقول الله تعالى :

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ،
فلنحْيِيَنه حياةً طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون ﴾ .



ومع هذه الشروط ، فإن تحقيق السعادة ليس أمراً
مكناً فحسب ، بل وواقعاً أيضاً . فقد استطاع الإسلام
من ذلك في كل مرة أخذ به الناس .

« فحينما يبني الإيمان مجتمع القيم الفاضلة ، وينسف
جميع الحواجز الزائفة ، تستطيع التعاليم الخلقية أن
تتخذ طريقها إلى التنفيذ لتبني المجتمع النموذجي
الحميد .

« وفي التاريخ الإسلامي استطاع الإيمان من بناء هذا
المجتمع - فعلاً - حيث كانت القيم الدينية هي السائدة
عليه ، وكانت القيم المادية منحسرة عنه بحيث أن مجرد

التفكير في تقديسها كان يثير السخرية .

ولقد كان مستوى الأخلاق في المجتمع الإسلامي
مثار عجب كبير لكل من تعرض للتاريخ .

« والقصة التالية تبين لنا جانباً من هذا المستوى :

« كان مالك الأشتر قائداً في الجيش الإسلامي ولكنه
بالرغم من ذلك كان يختار لنفسه الملابس المتواضعة ،
وبينما هو في بعض الأيام يخترق سوق الكوفة إذ استهزأ
به رجل عادي ، جهلاً بمكانته . . ومضى مالك في
طريقه لا يلتفت إليه ، ولكن ما لبث الرجل أن عرفه
فانطلق يبحث عنه فلم يجده إلا في المسجد ، فجثا بين
يديه يعتذر إليه . فقال له مالك :

هل تدري من جاء بي إلى المسجد ؟

قال - : لا .

قال - : إنما جئت لأستغفر لك ذنبك حيث لم أحب
أي يدخل أحد بسببي النار !

« ان وجود أمثال هذا القائد المتواضع لن يندر في
مجتمع تسوده القيم السامية نتيجة تمسك هذا المجتمع

بالإيمان^(١) ..



ترى أليس هذا المجتمع سعيداً في الحياة؟ ..

(١) الإيمان والحضارة ص ٢٦ .

...الایمان
ومن لا ایمان له

دَخَلَ أَحَدُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَى زَاهِدٍ فِي الْحَيَاةِ ،
كَانَ قَدْ أَعْتَزَلَ النَّاسَ وَاعْتَكَفَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا بَيْتِهِ ،
مَفْتَرِشاً الرَّمَالَ ، وَمَلْتَحِفاً السَّمَاءَ .

فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ حَيَاةِ الزَّاهِدِ الْبَسِيطَةِ وَبَيْتِهِ
الْمُتَوَاضِعِ . وَأُصِيبَ بِالْذَّوَارِ عِنْدَمَا قَارَنَ بَيْنَ حَيَاتِهِ
الشَّدِيدَةِ الْبَسَاطَةِ وَبَيْنَ حَيَاتِهِ هُوَ الْبَالِغَةِ الْبَذْخِ
وَالْتَرَفِ . .

وَمِنْ أَجْلِ الْمَدَاعِبَةِ مَعَهُ قَالَ لِلزَّاهِدِ :
- أَيُّهَا الزَّاهِدُ كَيْفَ تَنْظُرُ إِلَى زَهْدِكَ ؟
وَأَجَابَهُ الزَّاهِدُ ، بِهَدْوٍ بِالْخ :
- أَعْتَقِدُ أَنَّهُ شَيْءٌ بَسِيطٌ ، بِالْمُقَارَنَةِ إِلَى زَهْدِكَ أَيُّهَا
الْسلطان !

واندهش الخليفة . فأَيُّ زهد هذا الذي يقصده
الرجل ؟

وبابتسامة مصطنعة قال :

- أَيُّ زهد تعني ؟ ليس لي زهد !

وأجابه الزاهد :

- زهدك ، الغريب في الجنة . هذا ما أعنيه بالضبط . .

وقبل أن يقول الخليفة شيئاً ، أضاف الزاهد :

- أنا زهدتُ في حطام الدنيا . وقصارى ما أعيش فيه

سبعون عاماً أو ثمانون . أمّا أنت فقد زهدت في نعيم

الآخرة ، عندما ركبت الفسق والفجور ، وأقل ما تعيش

هناك هو أبد الأبدين . فاحكم ، أيّنا أزهد : أنا أم

أنت ؟



بهذا المنظار العميق ، الذي يجمع بين الدنيا والآخرة في

لحظة واحدة ليكشف عن تفاهة الحياة هنا ، وعظمة

الحياة هناك ، ينظر المؤمنون إلى العالم ، ومن خلاله

يفهمون شرف مبادئهم ، والقيم التي آلو على أنفسهم

التقيد بها كأغلى ما في الحياة . . لأنها هي التي تؤهلهم

للدخول إلى الجنة .

وبسبب امتلاك هذه الرؤية العميقة نرى أن المؤمنين
الحاملين لمشعل الإيمان الصادق ، هم أقوى من الجبال
« لأن الجبل يُستقل منه . والمؤمن لا يُستقل من دينه
شيء » .

كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

و « إلى الرفيق الأعلى » . . هو شعارهم في الحياة .
أما هدفهم فهو رضوان الله . لأنهم يعرفون أن أبدانهم
لا ثمن لها إلا الجنة ، ولذلك فإنهم لا يبيعون الأبدان
إلا بها .

ونظرة المؤمنين البعيدة هذه ، إلى الحياة تجعلهم في
مأمن من أي انحراف سلوكي أو فكري ، لأنهم
يترفعون عن مغانم هذه الحياة ، فلا تثيرهم اللذات
العابرة ، ولا ينحنون أمام المغريات . .

أن كل ما في الأرض ، من كنوز ومقام كريم لا
تساوي عندهم شيئاً إذا لم تخدم مبادئهم . . أنهم
يعملون .

كما قال الإمام علي (عليه السلام) عن نفسه :
« والله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها

على أن أعصي الله في غلة أسلبها جلب شعير ما
فعلت ..

وكما قال : « الا وان امرتكم هذه أزهد عندي من
عقطة عنز » « أقنع من نفسي أن يقال لها أمير المؤمنين
ولا أشاركهم مكاره الدهر ؟ » .

إنَّ مبادئ الكرامة ، والاستقلال ، والعدل ،
والحرية ، والطاعة ، هي فوق أن يساوموا عليها أو
يتنازلوا عن واحدة منها ، فلا ضعف أمام النزف
الحرام ، ولا تهالك على جيف الحياة المغلفة
بالشهوات ..

أنهم يعيشون الجنة بكل ما فيها من نعيم الله المعدّ
لعباده المكرمين ، فهم على وجه الأرض بينما أرواحهم
تحوم حول الجنان الواسعة . أوسع من السماوات ..
وهم على وجه الأرض بينما قلوبهم ترتجف من السقوط
في نيران الجحيم . التي وقودها الناس والحجارة ..
فهم - كما قال الامام (عليه السلام) :

« والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون . وهم والنار
كمن رآها فهم معذبون » ..

ما أعظمهم من أبطال ؟
وما أروع مواقفهم في الحياة ؟
ما أشمخ القمة التي تتطلع إلى السماء ، ولا تسف
إلى الانحناء ، أمام الوهاد . ؟
ما أعظم الذي تعصمه نفسه من الصغار ، فلا
يسقط عليها كالذباب ، ولكن يتسامى في الجو
كالنسور ؟

سألني - يقول أحد الكتاب - وفي عينيه شبه دمعة :
ان قبس النور الذي اشتعل في نفسي منذ وعيت
الحياة ، هذه الومضة التي تجعلني إنساناً أوشك الخطر أن
يخدق بها ، كادت الريح تطفئها . أتراني أسقط من عش
النسر إلى وكر الثعلب ؟

وشعرت أنه في ضيق . أحسست أن أعواد قفص ،
لا أراه ، تكاد تطبق عليه ، وهو الذي كنت أعرفه
منطلقاً ، متشائخاً ، رأسه في الذروة ، وأنفه في السماء .
وسألته بدوري :

ما دهاك ولست أعرف جديداً في حياتك ؟
قال - : بل الجديد في نفسي . . ان نور الحرية التي

أحببتها موشك أن يخبو . . حرّيتي في ان أقول واعمل
واری .

قلت - : وماذا يمنعك أن تقول ما تشاء ، وتعمل ما
تشاء ، وترى ما تشاء ؟

قال - : طوق غير منظور !

قلت - : من ذهب ؟

قال - : بل من طمع .

قلت - : وأنت الذي وضعته راضياً ؟

قال - والدمعة في عينيه - : نعم . . .

وامام هؤلاء - وما أكثرهم - تبدو عظمة الذين
يترفعون عن السقوط في دَوَّامة الطمع في الجطام .

وامام هؤلاء الأقزام ، تبدو ضخامة الذين يحملون
الايمان بالله ، ويحلّقون به في أجواء روحية صافية
تجعلهم في استغناء عن كل شيء ، وتجعل الأشياء كلها
تحتاج إليهم . . فهم عن الناس في غنى ، والناس إليهم
في حاجة . . لأنَّ الناس ينسلخون من الإيمان في
الحالات الطبيعية ، ولكنهم يهرعون إليه ، وإلى حملته
كلّما ألت بهم الكوارث ، وعصفت بهم الأنوار .

وكما جاء في الحديث القدسي :

« من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء » . .

وإذا كان المؤمنون يخافون الله وحده ، فإنَّ كل قوَّة الدُّنيا لا تعني لهم شيئاً ، فيؤتى بواحد منهم ويطلب منه أن يتنازل عن مبادئه وإلاً أحرقوه بالزيت المغلي ، وصنعوا منه الأدام . . فيرفض ذلك ويقول :
- لا والله لأن تطبخوني فهو خير لي من ذلك . .

ثم يبكي . فيقال له :
- إذا كان الطبخ خيراً لك ، فمِمَّ بكاءك ؟

فيجيب :
- أبكي ، لأنكم لا تستطيعون أن تقتلوني إلا مرة واحدة . ولأنِّي لا أملك إلا حياة واحدة أقدمها بين يدي الله . ويا ليتني أقتل ثم احرق . ثم أحيى ثم أقتل ، ثم احرق وهكذا سبعين مرةً لآزداد رفعةً ومقاماً . .

والآخر منهم - واسمه سعد بن ربيع - يسقط في ساحة المعركة ، وعليه ضربة اثني عشر رمحاً ، فيرسل عليه رسول الله قائلاً :

من يأتيني بخبر سعد ؟ فينبري له أحد المسلمين .
فيشير رسول الله إلى زاوية من المعركة ويقول :

« رأيته هناك وقد شرعت حوله اثنا عشر رجلاً ، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام » .
ويأتي الرجل إلى الزاوية التي أشار إليها الرسول وينادي :

ياسعد ! فلا يسمع جواباً . ويكرّر النداء :
ياسعد ! فلا يسمع جواباً . حتى يقول :
يا « سعد ! ان رسول الله يستل عنك » .
فيسمع صوتاً خافتاً ينبعث من جسد جريح ،
يقول :

أصحيح أن رسول الله حيّ ؟
ذلك أنه كان قد سمع قائلاً يقول « قُتل محمد »
فصمّم على أن لا يكلم أحداً إلى أن يموت . .
فيقول له الرجل :

أن رسول الله ييلعك السلام وقد أخبرنا أن عليك
أثر اثني عشر رجلاً . فقال :
نعم انه كذلك . ثم أضاف :
« أبلغ قومي الأنصار عني السلام وقل لهم :
والله ما لكم عند الله عذر أن تصل إلى رسول الله
شوكة وفيكم عين تطرف » .

ثم يتنفس فيخرج منه « مثل دم الجزور » ويقضي
نجه ..

فيأتي الرجل يخبر إلى رسول الله ، فيقول الرسول :
« رحم الله سعداً نصرنا حياً وأوصى بنا ميتاً » .

وهكذا يرفع الإيمان نفوس حامليه ، حتى يجعلهم لا
يفكرون في أنفسهم ، بمقدار ما يفكرون في مبادئهم
والتزاماتهم ..

وبالعكس ، فإنّ اللاإيمان ، يحطّ أصحابه إلى
الالتصاق العنيف بشهواتهم ، والتضحية بكل مقدساتهم
من أجل لذة عابرة ، أو شهوة فانية ..

إنّهم يعبدون الدنيا . ولذلك فإنّ « كل شيء » لا
يعني لهم « شيئاً » إلّا إذا خدمهم في الحصول على الدنيا
ولذاتها .. فحتى الزوجة ، والأطفال ، والأب ،
والأم ، وكل ما في القرابة من معنى ، لا تهمهم . ونجد
من هؤلاء بالعشرات في البلدان المادّية ، كأوروبا
 وأمريكا ، وروسيا ..

ويومياً نقرأ عشرات الحوادث التي يرتكبها الذين لا
إيمان لهم من أجل المادة ، ولذاتها .. فبعضهم يبيع

بناته للذَّاتِه وبعضهم يتاجر بزوجته ، والآخر يقتل أباه ، والرابع يمارس الجنس مع أمه وكل ذلك نابع من الفراغ من الإيمان . .

فالذي لا إيمان له ، لا وجدان له .

والذي لا إيمان له ، لا عهد له .

والذي لا إيمان له ، لا وفاء له .

والذي لا إيمان له ، لا رحم له .

فلو افترضنا أن رجلاً لا يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، وبذل ذلك يؤمن بالدنيا - خلقاً وخالقاً - ويؤمن بلذَّاتها حسب ما يقول المثل المادِّي : « هنا كل لذة . أمَّا بعد ذلك فلن تجد سوى الموت » . . ان هذا بالطبع لن يتردد في ارتكاب أكبر جريمة من أجل مغنم مادِّي ، مهما كانت الجريمة كبيرة ، ومهما كان المغنم بسيطاً . .

وتصفَّح عاجل لصفحات الجرائم في المجلات والصحف في كل مكان يكفي لإيقافنا أمام هذه الحقيقة .

كتبت إحدى الصحف العربية تقول :

أطلق على أبيه أربع رصاصات . . ثم هشمَّ رأسه بمؤخرة البندقية .

حدث هذا أمام شقيقة المتهم الكبرى . . وكان سبب الجريمة حديقة موالح مملوكة للأب القاتل . . أراد الابن القاتل أن يستأثر بها ويحرم أخوته .

قضت محكمة الجنايات بالإعدام شنقاً على الابن القاتل .

وترجع ظروف الحادث إلى يوم كان الأب - البالغ من العمر ستين عاماً - يجلس في حديقة موالح التي يمتلكها وبجواره ابنته - البالغة من العمر ٣٠ عاماً - يتحدثان في شؤون زراعتهم عندما فوجئا بالابن - ٢٤ سنة - يخرج عليهما من حقل مجاور ومعه بندقية سريعة الطلقات ووجه فوهة البندقية إلى صدر أبيه . . ذهلت شقيقته في الوقت الذي حاول الأب الهرب من الموت ، ولكن الابن تعقب أباه وأطلق عليه أربع رصاصات أصابته في صدره وبطنه فسقط على الأرض . ولم يكتف المتهم بهذا ، بل إنزال على رأس والده بمؤخرة البندقية حتى هشمها . . وأمام هذا المنظر المخيف هربت الأخت وأسرعت إلى العمدة تبلغه مصرع والدها^(١) .

(١) جريدة « أخبار اليوم » القاهرة تاريخ ٢٧/١/١٩٧٣ .

وليست هذه الحادثة إلا واحدة من آلاف الحوادث المماثلة التي تقع في العالم العربي ، المنساق وراء الدول المادية ، وهي واحدة من ملايين الحوادث التي تقع في العالم كله نتيجة انعدام الإيمان^(١) . .

وطبيعي أن هذا لا يختص بالأفراد كأفراد ، وإنما يعم المجتمعات كمجتمعات أيضاً . فالمجتمع الذي لا إيمان له ، لا ضمير له . . وهو لذلك يرتكب أبشع الجرائم من أجل حطام بسيط كقطعة أرض ، أو مقدار من المال أو ما شابه ذلك . .

وخلال تاريخ الإنسان نجد أن ٤٤ - حرباً كبرى وقعت بسبب خلاف على ملكية الأرض . وأن ٢٢ -

(١) صدر تقرير في أميركا يقول : في كل ١٥ - دقيقة تخطف فتاة . . -
وصدر تقرير في بريطانيا - صحيفة الديلي ميل - يقول : أن عدد الجرائم الخطيرة ومنها السرقات وبيع المخدرات قد ازداد في المترو - القطار - كازدياد الجرائم في العاصمة فقد ارتكبت في العام الماضي في قنوات المترو فقط ٤,٩١٨ عملاً إجرامياً ويزيد هذا العدد ٣٩٪ كل عام . . وفي ألمانيا صدر تقرير يقول : أن المتاجر التي تعرضت للسرقة بلغ ١٤٨ ألف متجر ، وأن قيمة البضائع المسروقة بلغت مليار مارك في العام .
(راجع : الحضارة في عهد الإمام المهدي) .

حرباً مماثلة وقعت من أجل الثروة والمال ، وإن ٢٤ -
حرباً أخرى وقعت بسبب الثأر الطفولي ، وأن ٥ -
حروب وقعت لأسباب تجارية . بينما لم تقع سوى ٨ -
حروب للدفاع عن الشرف^(١) .



أما الذين يحملون بين ضلوعهم الإيمان بالله ، فإنَّ
كل تصرفاتهم تصبح من نوع إيمانهم . جميلة ، وناصعة
وإنسانية . .

فالذي يحمل الإيمان ، يحمل معه الضمير . والضمير
يقوم بأعمال البوصلة الفكرية التي تهدي الرُّبَّان إلى المرفأ
المقصود .

أتريد شاهداً على ذلك ؟

هناك قصة ذلك الشاب الذي دفعه الإيمان للوفاء
بعهده ، في وقت كان ذلك يكلفه حياته . . وإليك
تفصيلها . .

حدث مرة أن النعمان بن منذر أحد ملوك العرب ،

(١) مجلة الجمهور الجديد عدد ٨٨٨ تاريخ ٢٤/حزيران/٧٢ .

قام برحلة صيد إلى الصحراء ومن بعيد ترائي له صيد
سمين ، فاستهواه وتعبَّه وفيما انشغل بتعقبه ضيَّع
الطريق وتاه في بداء الصحراء وحاول - عبثاً - الحصول
على علامة توصله إلى المدينة ، أو على الأقل إلى
جماعته ، ولكنَّه أخفق ، وبمرور الوقت هبط اللَّيل ،
ففقد الأمل بالعثور على الطريق فعاد يسوق الفرس بلا
هدف ، ومن دون اتجاه . .

ومن بعيد ترائت له خيمة متواضعة كأنَّها رملة سوداء
تغطي وجه الصحراء ، فأسرع إليها بعد أن مرَّقه
العطش والجوع ، لعلَّه يجد فيها ما يروي غليله ، أو
يسعفه من الجوع .

ولدى الاقتراب إليها ، رأى امرأة عجوز ، تخرج إليه
مرحَّبة ، فبادرها قائلاً :

- أمَّاه ، انا جائع هل لديك طعاماً ؟

فأجابته :

- على الرَّحْب والسَّعة . انزل بارك الله فيك . ان
الضيف ينزل برزقه ويذهب بذنوب أهل الدار .
وقبل أن يدخل الخيمة طالبها بالماء فسقته من كوز

بارد ، ثم أدخلته الخيمة وبدأ النعمان يعرفها بنفسه
قائلاً :

- أنا صيَّاد من أهل المدينة إنقطع بي الطريق
وضيَّعت ، والآن أطلب منك طعاماً .

فرحبت به ، وأخبرته أن ابنها الأكبر سيأتي بعد
حين ، وأنه سيتولى ذبح التيس الوحيد الذي تمتلكه
لتقدِّمه عشاءً له . .

وبينما كان النعمان والعجوزة ينتظران عودة ابنها
الأكبر وإذ بفارس ، معه جمل بلا راكب طرق باب
الخيمة ، وصاح بمن فيها : الا وأن ولدكم قد مات .
وهذا جملة أخذته إليكم .

وظهر أن ابنها الأكبر قد سقط في البئر ومات ، ولكن
العجوزة لم تقل شيئاً ، إنما فقط طلبت من الراكب أن
يتعاون معها في ذبح التيس لتصنع منه طعاماً لضييفها .
وبعد لحظات كان كل شيء مهيباً : الطعام ،
والماء ، والفراش الوثير .

ولما أصبح الصباح ، وعزم النعمان على المسير دلَّته
العجوزة على الطريق ، وأعطته زاداً للطريق ، وودَّعته
خير وداع .

وفي اللحظة الأخيرة أخبرها النعمان أنه سلطان

البلاد ، وأن باستطاعتها أن تزوره في بلاطه ليردّ عليها جميلها ..

.. مضت الأيام ، وشب ابن العجوزة الأصغر ، ومرت المنطقة بفترة قحط وجذب ، وأشرفت العجوزة على الهلاك ، فطلبت إليها ، وذكرت له قصة تلك الليلة التي أنقذت فيه السلطان من الجوع والعطش والموت ، وطلبت منه أن يذهب إلى بلاطه ، ويطالبه برّدّ الجميل لعلّها ينقذان نفسيهما من الهلاك ..

فشد الولد الرحال ، وقصد بلاط النعمان ، والأمل الحريري يمشي قدامه ، وينسج له الف صورة ، وصورة .

أليس يذهب إلى السلطان ؟ وأليس هذا السلطان قد قضى ليلة ممتعة في خيمة أمه ؟ إذن فلا بدّ أن يكون في جميله ما يكفيهم لعام كامل ..

هكذا فكر الشاب ، وهو يقترب إلى المدينة .

ولدى بوابة المدينة رأى جمهرة من الناس ينتظرون السلطان فازداد فرحاً ، إذ أصبح باستطاعته أن يلتقي بالسلطان بلا انتظار لدى البلاط .

ومن بعيد ترائى موكبه . فلم يستطع الشاب أن يملك نفسه ، فانطلق نحوه ، وهو يصيح :

« أيها السلطان أنا ابن العجوزة التي آوتك في
خيمتها . . جئتُك لتنقذنا . . » .

ولدى الاقتراب من فرس السلطان إنهار عليه
الجلالوزة وأمسكوه ، وحملوه إلى النعمان . . فتأوه
النعمان وتأسَّف ، لأن الشاب دخل عليه في وقت جدِّ
غير مناسب . . ذلك ان النعمان كانت له حَبِيبَتان
جميلتان ، ماتتا في ليلة واحدة ، فحلف أن يعتبر يوم
موتهما « يوم الحزن الأكبر » وأن يخرج إلى قبرهما ، ويقتل
في الطريق أول من يلقاه . .

ومن سوء حظ الشاب ، أنَّه التقى بالسلطان في ذات
الوقت الذي كان يذهب إلى قبر حبيبتيه وكان أول من
التقى به . .

وهكذا حلَّت عليه اللعنة . !

فقد قال له النعمان :

- يا ولدي . . بشس الوقت الذي أتيت فيه . . إنني لا
أنسى جميل أُمِّك ، فقد آوتني وأنا ضائع . وأطعمتني
وأنا جائع . وأروتني وأنا عطشان . ودلّني على
الطريق . ولكن لا أستطيع أن أتركك الآن لأن حلّفي
سابق لا أخالفه ، ولا بدُّ أن أقتلك . . غير أنني مستعد

لتقديم ما تريد . . كل شيء أضعه تحت تصرفك ،
ولكن لا بد من قتلك . . هذا ما لا يمكن التنازل
عنه . . هذا من حظك الأسود .

فارتبك الشاب . . وقال :

- وماذا تنفني كل عطايك إذا كان لا بد من قتلي ؟

فقال النعمان - : لا بد من تنفيذ ما حلفت له .

قال الشاب - : أيها السلطان لقد جئناك لترد علينا

جميلنا . والآن فاجعل جميلك عليّ أن تتركني لشأني . . »

فقال النعمان - : لا يمكن . لا بد من قتلك !

فعرّف الشاب أن السلطان مصمم على قتله ، فقال

له :

« إذا كان ولا بد ، فاسمح لي أن أرجع إلى أمي فقد

تركتها منذ خمسة عشر يوماً في الصحراء لا ماء عندها ،

ولا طعام ، دعني أستخير عنها ، وأودّعها ، ولك عندي

عهد بالعودة على رأس الشهر . . » .

فقال النعمان - : هل لديك ضامن ؟

قال الشاب - : لا أعرف هنا أحداً ، ولكنني صادق

في وعدي .

قال النعمان - : هذا لا يكفي . .

فبدأ الشاب ينظر إلى الجمع المحتشد ، فرأى رجلاً ،

تبدو عليه آثار الصلاح ، ينظر إليه بعطف ، فتقدّم إليه
قائلاً : هل يمكنك أن تضمّني ، حتى أذهب إلى أمي ،
وأعود . ؟

فرق له قلب الرّجل ، وضمّنه .
وقبل أن يبدأ الشاب رحلة العودة إلى أمه أعلن
السلطان أنه سيقتل الضامن إذا لم يعد الشاب في رأس
الشهر . .

وتفرّقوا . .
ومرّت الأيام . . ولم يظهر أيّ أثر للشاب . . كان
اليأس يمزق الضامن . . وكانت الساعات تمر عليه
وكأنها القرون .

وفي اليوم المحدّد ، جمع النعمان حاشيته ، وذهب
بهم إلى قبر عشيقته ، وأمر بإحضار الضامن . وانتظروا
حتى الظهر فلم يظهر أي أثر للشاب . . أراد النعمان
أن يقتل الضامن بدلاً عنه فاستمهله الوزراء ، على
أساس أن التحديد يعني الانتظار إلى المغرب . .

انتهى العصر . . كانت الشمس تميل إلى
الغروب . . وكانت شحنات الأمل تتبدّد أمام عيني
الضامن الذي كان يتطلع إلى الصحراء في يأس . .

وفيا كان السلطان يأمر الجلاوزة أن يفرشوا النطع ،
ويقيدوا الضامن ، ظهر من بعيد شبح إنسان قادم من
الصحراء على عجل ..

فأمر النعمان ، أن ينتظر السياف ..
ومع اقتراب الشبح تبين أنه هو الشاب .. كان
يلهث من الركض ، وعليه آثار الإرهاق الشديد ..
وعندما وقف امام النعمان قال له :

- .. الآن نفذ حلفك ، فقد ودّعت أمي !
فاندھش النعمان من وفاء الشاب ، فقال له :
- عجيب أمرك . لقد جئتنا تطلب الدنيا ، فأردناك
للموت ، وفررت بنفسك ، فلماذا أتيت إليه برجليك ؟
فضحك الشاب وقال :

إن إيماني هو الذي دفعني إلى ذلك . وأضاف :
- إن إيماني يخبرني « أن من لا وفاء له لا دين له » .
فأطرق النعمان برأسه ، وخاطب ضميره : إذا كان
إيمان هذا الشاب يدفعه للمثول أمام الموت ، فلماذا
أكون عاجزاً عن رفعه عنه . ؟

وهكذا قرّر أن يتحوّل يوم « حزنه الأكبر » إلى يوم
عيد .. ودقت الأجراس . واکرم الشاب إكراماً عجيباً .



تُرى : في غياب الإيمان هل يمكن أن نتصور نفسية
كنفسية هذا الشاب ؟

إن الناس يحتالون يومياً آلاف الحيل من أجل
الحصول على مغنم بسيط ، فهم يضعون آلاف العهود
والمواثيق تحت الحذاء من أجل راحة ليلة واحدة ، بينما
ترتفع روح هذا الشاب إلى مستوى التضحية بنفسه من
أجل عهد قطعه من ظالم . .

أنه الإيمان ، الذي يصنع بالنفوس ، ما لا تصنعه
الأمطار بالأرض . .



والإيمان أيضاً يتحوّل في الإنسان إلى قدرة تسمو
بصاحبه إلى مستوى الإستهانة بكل قوّة الدنيا والاستهزاء
بالعدوّ . لأن المؤمن يشعر بالكرامة الذاتية بالالتصاق
بإيمانه ، وثقته بنفسه تكون فوق أن ينهار أمام الهزيمة . .

فالمؤمن لا يعترف لعدوّه بالتفوّق ، لأنّ العدو الفارغ
من الإيمان ، أصغر من أن يحرك في المؤمن شعيرة
واحدة . .

وهاك الشاهد :

عندما سقط شهداء الإيمان يوم عاشوراء على رمال الأرض ، وأنتهت المعركة بمقتل قائد المسيرة المقدسة الإمام الحسين (عليه السلام) . كان هناك رجل من أصحابه يمتد بين القتلى ، ولكنه لم يكن ميتاً ، رغم أن مظهر الدماء على جسده كان يوحي بأنه ميت . .

ولمّا سقط الإمام الحسين على الأرض ، وقطعوا رأسه ، صاح جيش الإلحاد : قتل الحسين . . قتل الحسين ، وهزّت الصيحة المشؤومة أعماق الرّجل فتحامل ، وهبّ من بين الجثث . وحاول أن يقف على رجليه فلم يستطع . . فمشى على رجليه ويديه وأخذ يبحث عن حربة أو سلاح ، فلم يجد فأخرج سكيناً كان قد خبّأه في خُفّه ، وحمل بها على جيش العدو ، مستهيناً بكل ذلك العدد الضخم الذي كان يملأ الصحراء ضجيجاً ، وصراخاً ، وصيحة نصر . .

لقد كان مظهره غريباً . . فقد كان كل رفاقه صرعى على الأرض . . لم يكن لديه أدنى شك في الهزيمة ، ولكنه لم يكن يعترف بالهزيمة إذا كانت تعني الموت بشرف ، كما لم يكن يعترف بالنصر إذا كان لعين الحياة بذل ، وبرغم ضعفه عن المقاتلة فقد بدأ يضرب

بالسكينة على أرجل الجنود التي كانت ترقص على الجثث
فرحاً . .

والثفت إليه القوم ، فحملوا عليه بالرماح ، ومزقوه
قطعة قطعة .

وهكذا أعطت الإرادة الإيمانية روح المقاومة للجسم
نصف الميت ، فأيقظته ، من الأغماء ، ورفعته مكاناً
علياً .



هذا ما يفعله الإيمان بالنفوس . فماذا يفعل الخواء
من الإيمان ؟

إذا كان صحيحاً أن من يملك الإيمان ، يملك العزة
والكرامة والقوة ، فإن من الصحيح أيضاً أن من لا
يملك الإيمان لا يملك القوة والكرامة والعزة .

وهاك الشاهد :

في معركة القدس عام ١٩٦٧م كان الجنود العرب
يقاتلون ، وهم فارغون من الإيمان - هكذا أرادهم
الحكّام - ولذلك فإن الضباط أعلنوا عن إستسلامهم

بمجرد أن عرفوا انها « سوف » تسقط بيد الإسرائيليين .

حتى أن أحد العسكريين نزع ثيابه العسكرية كلها بما في ذلك ملابسه الداخلية - لأنها عسكرية أيضاً - خوفاً من أن يقبض عليه جنود إسرائيل . .

وعندما رآه الناس كذلك ، سارع من بقي منهم - بلا علم أبيض فوق منزله - لرفع العلم ، معلناً الاستسلام^(١) .

وأيضاً :

فَعِنْدَمَا سَقَطَت الْقَدْس ، فِي نَفْس الْعَام ، أُرْسِلَتْ إِسْرَائِيلُ إِنْذَاراً إِلَى بَيْت لَحْم ، عَبْرَ إِذَاعَتِهَا ، أَنْ تَسْتَسْلِمَ قَبْلَ أَنْ تَدْمُرَ « حَرِصاً عَلَى أَرْوَاحِ السَّكَّانِ ! » . وَقَرَّرَتِ الْمَدِينَةُ أَنْ تَسْتَسْلِمَ ، وَلَكِنْ مِنْ يَتَوَلَّى عَمَلِيَّةَ التَّسْلِيمِ ؟ الْجَيْشُ لَمْ يَعُدْ مَوْجُوداً - كَانَ الْجَمِيعُ قَدْ اسْتَسْلَمُوا - . وَالْقَائِمَقَامُ لَمْ يَكُنْ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِحَمْلِ الْمَسْئُولِيَّةِ . وَرَئِيسُ الْبَلَدِيَّةِ غَيْرُ مَخْوَلٍ . وَبَيْنَمَا كَانَ الْبَحْثُ يَجْرِي عَمَّنْ يَسْلَمُ الْمَدِينَةَ ، قَامَتِ إِسْرَائِيلُ بِغَارَةِ

(١) مجلة « الحوادث » العدد : ٨١٣ - تاريخ : ٩/حزيران/١٩٧٢ .

جوية بسيطة على المدينة فأسقطت عدة قنابل ، قتلت حوالي العشرين شخصاً . .

وعندما رأى الناس - الفارغين من الإيمان - الدّم والجثث تملأ مكان سقوط القنابل أسرعوا باتخاذ القرار ، وكان ملخصه : أن هذه مدينة دينية . . مدينة مقدسة ، إذن يسلمها رجال الدين (. . .) .

واجتمع رجال الدين (. . .) في الكنيسة وقرروا أن يذهبوا هم لملاقاة « المنتصر » بدلاً من أن يصل هو إليهم . وخوفاً من أن لا يرى « الأعلام البيضاء » الصغيرة التي يحملونها اقترح أحدهم أن « يكفّنوا » أجسادهم « بشراشف » بيضاء كبيرة تغطّيهم ، وكتبت وثيقة الاستسلام بدون قيد أو شرط ، ولبس رجال الدين (. . .) هؤلاء أكفانهم ، ثم مشوا ، في موكب خاشع ، لملاقاة القائد الإسرائيلي في منتصف الطريق . . وعندما وصل إليهم القائد ، أخذ منهم الوثيقة بلا مبالاة ، ثم تركهم هناك بحراسة جندي مسلح ، ثم تابع تقدّمه ، ولم يفرّج عنهم إلا بعد أن ارتفع علم إسرائيل على كنيسة المهدي ، وعلى كل مكان ، أي بعد



وهذا ما يفعله الخواء من الإيمان . فماذا يفعل
الإيمان في مثل هذا الموقف ؟

في إحدى الحروب التي خاضها رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) استهدف الأعداء حامل راية
الرَّسول - وهو جعفر الطيار - ، وكان القصد من وراء
ذلك إسقاط الرّاية من يده ، الأمر الذي كان يعني -
يومئذ - هزيمة الجيش كلّهُ . .

وأخترق طابور من الأعداء صفوف الجيش ودار حول
حامل البيرق ، فحمل عليهم بيد ، بينما أمسك الرّاية
بيد أخرى ، فأسقط الأعداء يده اليمنى فأمسك الرّاية
بيده اليسرى ، بينما وضع يده المقطوعة ، التي بقيت
معلّقة بالجلد ، تحت قدمه وقطعها . ثم أسقطوا يده
اليسرى ، فحمل الراية بما تبقى من يديه المقطوعتين ،
وكانت تنزفان دمًا . .

وعندما ضربوا على كتفه ، أمسك الراية ، بزنده

(١) « الحوادث » عدد ١٨٣ تاريخ ٩/ حزيران/ ١٩٧٢ .

واسنانه ، وظل يدور حول نفسه ، حتى أتاح لرفاقه أن
يمزّقوا الطابور المهاجم ، وينقذوا الراية من السقوط !



أنّه الإيمان . ولا شيء وراء الإيمان

للمعصية
ردة فعل أيضاً

عندما يرمي الإنسان بنفسه من الطابق الأول من
عمارة ما ، فأنَّ الذي يحصل له هو : جروح في رأسه ،
وكسور في رجليه ، و- ربما - تداخل في قفصات
صدره ..

وعندما يرمي بنفسه من الطابق الثاني فإن الذي
يحصل له هو : مزيداً من الجروح في الرأس ، ومزيداً
من الكسور في الرجلين ، و- ربما - مزيداً من التداخل
في قفصات الصدر ..

وعندما يرمي بنفسه من الطابق الرابع ، أو السابع ،
فإن الذي يحصل له ليس أقل من تلاشي المخ ، وتحطم
العظام ، ومهاجرة الروح للجسد ..

تلك هي سنة الله في الإنسان والأرض والحياة . فالله خلق جسم الإنسان مرناً بحيث يتمزق فور تلاقيه بشكل عنيف مع شيء صلب كالأرض . كما خلق الأرض صلبة إلى درجة أن باستطاعتها أن تصدى أي جسم مرن فتمزقه . .

وإذا تعرض أحد لسنة الله هذه ، وتعدّأها ، فأن نصيبه سيكون نصيب من يرمي بنفسه من الطابق السابع : الموت : بعد تمزق أعضاء الجسم .

إنّ هذا قانون وضعه الله للأرض والإنسان وعلى من يريد العيش الهنيء أن يلاحظه حتى لا يصطدم به ويتلاشى . .

والأمر لا ينحصر في « الرمي بالنفس من الطابق السابع » ، وإنما يتعداه إلى تغليف كل جوانب الحياة به . .

وهذا القانون ، هو ما يعبر عنه بقانون « ردّ الفعل » وهو عام وشامل ، لأنّ كل خطوة من الإنسان يقابلها ردّ فعل ، يساويها في القوة ويخالفها في الاتجاه . .

ولأنّ قانون « عام وشامل » فإنه لا يختص بالاشياء

الجامدة ، بل يعمّ الإنسان ، والمجتمع ، والحركة والسكون ، رغم أن أكثر الناس لا يعرفون منه إلا ما يرتبط بأشياء الحياة ، فهم يعرفون - بلا حاجة إلى التعلّم من أحد - أن قطعة الحجر المعلقة بخيط رفيع إذا ما سُحب من اليمين ، فإنّه سيتعدى الوسط الذي كان فيه باتجاه اليسار ، بمقدار ما سحب من اليمين ويظل يترنح بين الطرفين بشكل متساو ألى أن يعود إلى وضعه الأول . .

وهم يعرفون أيضاً : أن الزجاج سيتحطم فور أن يرمي به الإنسان على الأرض . .

هذا ما يعرفه الناس من هذا القانون .

ولكن الذي لا يعرفونه ، أنّ هذا الأمر لا يختص بالجماد ، ولا يختص بالنبات ، ولا يختص بالنفس ، ولا يختص بالفرد ، ولا يختص بالمجتمع . . بل يعم كل ذلك . .

فحتى المرض البسيط الذي يلمُّ بك ، فإنه نتيجة « ردّ الفعل » . وعلاجه أيضاً يأتي عن طريق « ردّ الفعل » . فالليكروب يدخل الدّم ، فيرفع الدّم - كرد فعل لوجود

الميكروب - من درجة حرارته ، ويأتي العلاج من خلال
تزريق المريض بميكروب المرض نفسه ، ولكن بعد
تضعيفه ، حتى يفرز الدم مادة مضادة - كرد فعل -
له . .

وهكذا فإن الحياة كلها تدور على قاعدتين :

الفعل وردّ الفعل . .

وكما في الجسد الإنساني كذلك في الروح الإنسانية ،
وكما في الفرد كذلك في المجتمع . . فإن هناك أشياء
معينة تشبه الميكروب من ناحية أن لها آثاراً معينة تؤدي
إليها ، لأن المجتمع المتناسك لا يستطيع أن يتحملها
لشذوذها عن طبيعة الإنسان والحياة . . وهذه الأشياء
هي « المعاصي » . .

ان الحياة تسير وفق قواعد خاصة ، نعرف بعضها ،
ولا نعرف أكثرها ، وأي خرق لهذه القواعد سيؤدي إلى
مرض إجتماعي ، أو فردي معين .

وتماماً كما أن محاولة خرق قانون الجاذبية أو تحديها
يؤدي بالإنسان إلى الموت ، كذلك محاولة خرق قوانين
الحياة الروحية ، والمعنوية فانها تؤدي إلى الموت

الاجتماعي ، في مكان ما منه .

وخرق قوانين الحياة الروحية يتم عن طريق
« المعاصي » ..

والمعاصي تنقسم إلى قسمين :
الأول - معاصي فردية . ونتائجها تكون عادة شقاءاً
فردياً ..

مثلاً : استعمال المخدر ، ينتهي إلى نتيجة انحلال
جسم الذي يدمن عليه ..
ومثلاً : العادة السرية ، فانها تنتهي إلى نتيجة إنبهار
من يرتكبها عصبياً وفكرياً ..
ومثلاً : الكذب ، فانه ينتهي عادة بالكاذب إلى
السقوط في الحياة ..

وهكذا فان المعصية الفردية ، يقابلها رد فعل فردي
مساو لها في القوة التدميرية ، وتقابلها في الاتجاه ..

ونعني بالاتجاه ، هو إتجاه المصلحة الفردية المتوخاة .

مثلاً : الذي يستعمل المخدر من أجل الهروب من
المشاكل ، سيكون نصيبه من ذلك تحول المخدر بالنسبة
إليه إلى مشكلة ..

والذي يستعمل العادة السرية ، من أجل الحصول على لذة جنسية ، سيكون نصيبه من ذلك الحرمان من لذة الجنس ، بعد إنهار جهازه الجنسي . . . وهكذا . . .

الثاني - المعاصي الإجتماعية . ونتائجها تكون عادةً شقاءً إجتماعياً .

مثلاً : مخالفة الله في القضايا الاجتماعية ، فانها تؤدي إلى فوضى إجتماعية ، وتمزق إجتماعي .

وكمثال على ذلك فان مخالفة الله في ارتكاب الزنا ، ستؤدي إلى تمزق العائلة ، ومن ثم بروز مشكلة الأولاد غير الشرعيين ، والفتيات المومسات .

والأمر لا يختص بالجرائم ، وإنما يتعداها إلى كل شيء حياتي فالإبتعاد عن تعاليم الله مثلاً في السياسة والإجتماع سيؤدي إلى تكوي المجتمع بنيران السياسات الفاسدة ، والخضوع لقواعد إجتماعية فاشلة . .

وهكذا . . فان المعاصي الإجتماعية تكون ذات مفعول إجتماعي معاكس . فكل ما يصيب المجتمع لابد أن يكون بتأثير معاصي - سابقة أو معاصرة - وان

كان الناس لا يحسّون بذلك .

فالمجتمع الذي يسمح للشباب أن يقلّد الميوعة
والإنحلال لا بد أن ينتظر ظهور : الميوعة ، والتمرد
والرفض من قبل جماعات الشباب . .

وليست الفوضى التي يحدثها الشاب في مختلف بلاد
العالم إلا نتيجة معاصي إجتماعية إرتكبها الآباء أو
الأمهات ، ولا بد أن يعالج المسؤولون تلك المعاصي
قبل أن يعمدوا إلى نتائجها السيئة . .

وكذلك المجتمع الذي يسمح للفتيات بالظهور أمام
الرجال في استعراض شامل للسيقان ، والنهود ، لا بد
أن ينتظر ظهور : علاقات غير مشروعة بين الفتيات
والأولاد ، وظهور مجالس تبادل الزوجات ، وفرار
الفتيات بشكل جماعي . . الخ .

لماذا ؟

لأن الرد الفعل الطبيعي لاستعراض السيقان العارية
هو إسالة الشهوة في أعماق الشاب ، ومن ثم تعرضه
لصاحبة الساق في صورة : اختطاف مشروع (!) أو
علاقة غير مشروعة ، تماماً كما أن الرد الفعل الطبيعي

لإهمال قطعة اللحم الجيدة في ردهة البيت هو إثارة الجوع في أحشاء القطعة ، ومن ثم قيامها بسرقة اللحم . .

وهكذا في القضايا السياسية ، والإقتصادية فالذين ينسلخون من الصواب يقعون في الخطأ ، ومن لم ينفعه الحق أضره الباطل - كما قال الإمام علي (عليه السلام) .

مثلاً : الذين يتفرقون عن قياداتهم الدينية الأصيلة في الحياة ، لابد أن يتليهم الله بقيادات زائفة تسخرهم من أجل مصالحهم الخاصة .
وكما يقول الله :

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾ .

« يقال أن الطاغية بختنصر عندما إحتل بلاد همدان - من إيران - جمع الناس وقال لهم :

- سأطرح عليكم سؤالاً واحداً فإن أجبتموني بجواب صحيح عفيت عنكم . وإلا وضعت فيكم سيفي هذا حتى أسقي آخركم بكأس أولكم .

» ثم طرح عليهم السؤال التالي : «

» - أجيبوا : من سلطني عليكم : الله ، أم أنا ؟

« وكان يرجو أن يسمع منهم أحد الجوابين » :
« الله » أو « هو » .

فإذا كان الله هو الذي سلَّطه عليهم ، فيأذن يكون
كل ما سيقوم عليه نابعاً من إرادة الله .
وإذا كان هو الذي سلَّط نفسه - بنفسه - عليهم فإنه
لا يمكن أن يقف أمامه أحد .

« ولكن .. بدل أن يسمع منهم أيّاً من الجوابين
سمع منهم كلاماً آخر ، فقد وقف شاب عليه ثياب
الرعاة وقال له :

« - أيُّها السلطان : لا الله هو الذي سلَّطك علينا ولا
أنت . وإنما نحن !

وأضاف :

« - أنت لم تكن تستطيع أن تدخل بلادنا ، إلا بعد
أن تفرّقنا عن قيادتنا . وكان طبيعياً بعد تفرّقنا عن
الطبيّين أن يأتي خبيث مثلك ليتأمر علينا^(١) .

إذن : فان التفرق عن القيادة السياسية الصحيحة
سيكون له « رد فعل » طبيعي هو : تسلُّط القيادات
الفاسدة على الشعب .

(١) « لكي لا نموت مرّتين » للمؤلف ص ٢٢ .

وكذلك في الإجتماع . والإقتصاد . والتربية . وكل
نظام حياتي آخر .



إن الإنسان عندما يقرأ التاريخ ، يستطيع أن يعرف
مدى سرعة « ردّ الفعل » الإجتماعي ، والسياسي الذي
تعانيه الأمم بسبب أخطائها وحقاقتها ، فما من أمة
ارتكبت معصية إلا وأصابها الذل ، والفوضى كردّ فعل
لذلك ..

وما من أمة سكنت على معصية إجتماعية ارتكبت
فيها ، إلا وجائها العقاب في شكل أمراض إجتماعية
تبتدأ ولم تنته .

والتاريخ هنا أكبر شاهد .. فروما سقطت لأن
الشعب سقط في حمى الجنس .. وخط « ماجينو »
الشهير تمزق أمام هجمات الألمان لأن الجيش الفرنسي
كان مصاباً بأمراض السيلان والزهري نتيجة الحرية
الجنسية ..

وفي تاريخنا نجد أن الأمة الإسلامية عندما تخلت عن
التزاماتها تجاه قيادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

إبتليت بقيادة معاوية . وعندما تخلت عن الإمام الحسين
أصيبت بنكبة يزيد .

وعندما تخلت عن الامام زين العابدين ، مزقها
الحجاج بن يوسف الثقفي . .

ان كل القيادات الزائفة التي ظهرت على مسرح
الساحة الإسلامية ، كانت ردود فعل لجرائم إجتماعية
إذ لو كان المجتمع متمسكاً بقيمه لما برز فيه أيّ مفسد
لأن المفسدين لا يمكن أن يجدوا طريقهم إلى السطح لولا
تهيئة الأجواء لهم ، تماماً كما أن ميكروبات الأمراض لا
يمكن أن تطفو داخل الجسم لولا انحلال الجسم ،
وانعدام مقاومته . .

ان المجتمع عندما يرتكب الجرائم الإجتماعية ،
يكون عذابها - بالطبع - الجرائم الإجتماعية .
إذ كما يقول الامام علي (عليه السلام) .
« كما تكونوا يوِّلى عليكم » .

يقول الله تعالى :

« الظالم سيفي أنتقم به من أعدائي وأنتقم منه » . .

ولا يعني ذلك أن الله هو الذي يفرض الظالمين على

رقاب الناس ، وإنما يعني أن إبتعاد الناس عن الله ،
وتحولهم من أصدقائه إلى « أعدائه » يؤدي بهم إلى بروز
الظالمين وتسلبهم مراكز الحكم . . ومن ثم الإنتقام
منهم . .

وهل القضية بحاجة إلى أمثلة ؟

يقول الحسن البصري :

سمعت سيدي ومولاي أمير المؤمنين (عليه السلام)
يتأوه من أصحابه قائلاً :

« اللهم . . أئتمنتهم فخانوني . ونصحتهم
فغشوني . اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم في
دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية » .

ومر الزمان . .

وقُتل الإمام علي (عليه السلام) بيد واحد من
معاصريه . . ثم قُتل بعده الإمام الحسن ، والإمام
الحسين ، وبرز على العرش رجال وسقط رجال حتى
جاء « غلام ثقيف » الذي ذكره الإمام علي (عليه
السلام) - وهو الحجاج بن يوسف الثقفي - إلى
العرش . وكان الوقت : بعد مقتل الإمام الحسين

بسنوات عديدة . فابتدأت عمليات القتل والسحل والإعدام تتماوج في طول البلاد الإسلامية وعرضها . .

ترى من كان يرتكب تلك الأعمال ؟

الحجاج ؟

لا . وإنما الناس أنفسهم ، لقد حكموا على أنفسهم بذلك يوم تخلوا عن الإمام علي (عليه السلام) ، ويوم خذلوا الإمام الحسن ، ويوم قاتلوا الإمام الحسين (عليه السلام) .

إنهم تحولوا من أصدقاء الله إلى أعدائه ، فسَلَّط الله عليهم نتائج أعمالهم العدائية وكان . . الحجاج .

والحقيقة الكونية تقول :

« لا ينقطع المزيد من نعم الله حتى ينقطع المزيد من الشكر من العباد^(١) » .

والشكر هنا يعني الشكر العملي . . يعني طاعة الله . كما أن قطع المزيد من النعم ، يعني الابتلاء بالجرائم ، والسقوط في المظالم الاجتماعية .

(١) « ألف باء الإسلام » ص ٢٢٢ .

وقد كان إنقطاع الشكر العملي من دنيا المسلمين سبباً
لسقوط الحكم بيد الحجاج . . فماذا فعل الرجل بهم ؟
ان الظالمين في أية أمة لا يحدثون دمايل - كما قد يظن
البعض - وإنما يفجرون الدمايل التي تملكها الأمة .
ولذلك فإن جروح الأمة ليست بفعل الظالم ، وإنما هي
جروح سابقة يكشف عنها الظالم . .
وهذا ما فعله الحجاج :

فعندما دخل الكوفة ، كوالٍ من قبل الخليفة
الأموي ، عبد الملك ، أخذ معه أربعة جلادين فقط .
وأمرهم قبل دخول الكوفة ، أن يقفوا شاهرين سيوفهم
عند بوابات المسجد ، وأن ينفذوا أوامره بلا مبالاة
مطلقة .

ثم دخل المدينة ، وعلى وجهه قناع يستر وجهه
فطلب من الناس أن يجتمعوا في المسجد . واجتمعوا
للإستماع إلى الوالي الجديد .

وصعد المنبر ثم قرأ رسالة عبد الملك هكذا :
« أيُّها الناس السلام عليكم ورحمة الله » ثم
سكت . . ثم قرأ العبارة مرة أخرى ، وسكت . كان

ينتظر من الناس أن يسمع الجواب على سلام الخليفة
ولكن من دون جدوى . .

وفي المرة الثالثة أزاح القناع من وجهه ، وقال :
أنا ابن قنا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني
وبإزاحة القناع ، عرفه الناس : لقد كانت له سوابق
رهيبة ، ثم قال :

- ويلكم أمير المؤمنين (!) يبلغكم السلام ولا
تجيبوه ؟

فوقف الناس إحتراماً للخليفة ، وأجابوه :
وعليك السلام . . وعلى أمير المؤمنين السلام . . .
ولكن الحجاج استمر في كلامه :
- اسمعوا . . ايها الناس إن عليكم أن تجهّزوا جيشاً
للأهواز . . » . وسكت . .

قام جمع من الشباب واعتذروا فقال للجلادين -
الذين كانوا ينتظرون أوامره بشغف - :
« إضربوا أعناقهم » . وبعد لحظات كانت الرؤوس
تطير في الهواء . .

ثم قام جمع من الشيوخ واعتذروا . فأمر الجلادين

فضربوا أعناقهم .

ثم قال الحجاج :

- ألا وإني أرى رؤوساً قد أيّنت وحنّ قطافها
أتريدون أن تصنعوا مع الخليفة عبد الملك ، ما فعلتموه
مع علي ، والحسن ، والحسين .

وأضاف : أيها الجلادون اضربوا اعناق من يحاول
الخروج من المسجد . . وارتفعت السيوف « تقطف »
الرؤوس التي « أيّنت » ، والحجاج من على المنبر يهلل
ويكبر ويشجع الجلادين على « القطاف » . !



ومر الزمان .

وخضع الناس للحجاج .

وأصبح الرجل إلهاً جديداً يحكم ما يشاء ، ويفعل ما
يشاء ، بلا رادع ولا مانع . . وكان على الناس أن
ينفذوا ما يقول كرد فعل لتقاعسهم عن الإمام علي والإمام
الحسن والإمام الحسين .

وحدث مرة أن سمع الحجاج - وهو على شرفة
قصره - رجلاً من المارة يقول :

الله أكبر . الله أكبر .
فدعاه الحجاج . وعندما مثل أمامه جرى بينهما الحوار
التالي :

- : أين كنت ؟
- : في المسجد .
- : ماذا كنت تفعل ؟
- : أصليّ العشاء .
- : وإلى أين كنت ذاهب ؟
- : إلى البيت .
- : ماذا كنت تقول ؟
- : لم أقل شيئاً .
- : بلى قلت !
- : لم أقل شيئاً .
- : بلى قلت : الله أكبر !
- : نعم قلته .
- : ماذا قصدت من قولك ؟
- : لم أقصد شيئاً : إنما قصدت معنى « الله أكبر » .
- : لا . لا بدّ أنك قصدت شيئاً آخر !
- : لا . لم يكن لي أي قصد آخر .

- : انك قصدت التهريج ضدنا . أليس كذلك ؟

- : لا والله .

- : لا ينفعني الحلف الكاذب !

- : بحقك علينا لم أقصد شيئاً .

- : إن إصرارك دليل على قصدك الفاسد .

ثم أمر جلّاديه أن يجسوه تلك الليلة وينكّلوا به في الصباح على باب المسجد .

....

وفي الصباح رأى الناس عند باب المسجد أربعة جلّادين يجردون الرّجل من ثيابه ، ويطوفون به مركوباً - بشكل معكوس - على الحمار . وعند الظهر أوقفوه على باب المسجد . وأمام مرأى الناس تقدّم إليه إثنان من الجلّادين ، وشدّوا جبهته بالجدار ، ثم أخرجوا فكه الأسفل - الذي تحرّك بكلمة الله أكبر - ثم كسروا عظام وجهه وجمجمته بالفؤوس ، ثم قطعوا رأسه ، وعلّقوا المتبقي منه على باب المسجد . .

ترى من فعل به ذلك ؟

الحجاج ؟

لا . فالأمر كان هو الحجاج ، أمّا الذي ارتكبه فكان

الناس أنفسهم ، لأنهم بتضييعهم المقاييس ، أنبتوا
الحجاج وأمثاله ، وبتقاعسهم عن نصرة الحق وأهله ،
فتحوا للحجاج الطريق إلى العرش ، وكان عليهم أن
يقبلوا أحكامه ، لأنها نتائج أعمالهم ..



عشرون شاباً بريئاً وضعهم الحجاج في السجن وأمر
أن تسد في وجوههم منافذ النور والنهار . حتى لا يميزوا
الليل عن الصباح ، كما أمر أن لا يطعمونهم الطعام إلا
بعد مزجه بالرمال ، وأن لا يسقونهم الماء إلا بعد خلطه
بالطين ..

فمات أحدهم . فرفض الحجاج أن يخرجوا جثته
حتى تفسخت ، فمات الثاني ، والثالث ، والرابع ،
والخامس ، إلى الرجل السادس عشر . وأخبروا الحجاج
بذلك ، فلم يأذن بإخراج الجثث ، وإنما أمر أن يهدموا
السقف عليهم ليتحول السجن إلى مقبرة لهم ، وليموت
الأربعة الباقين مع رفاقهم ..



دخل موظف ضرائب من قبل الحجاج على ملاك من

الملاكين وطالبه بالزكاة ، فقال له الرَّجل :
« ليس عندي زكاة ، لأنَّ ماشيتي ماتت بفعل
البرد » .

فرجع الموظَّف إلى الحَجَّاج ، وبدل أن يخبره
بالحقيقة ، فقد ذكر له أنَّ الرجل يرفض الإيمان
بالزكاة . .

واستغل الحجاج الموقف وأمر بإحضاره ، وقال له :
- كيف لا تؤمن بالزكاة ؟
وقال الرَّجل : والله أنِّي مسلم ، ولا يسع المسلم أن
لا يؤمن بالزكاة . . فقال له الحَجَّاج :
إذن كيف قلت انك لا تؤمن بالزكاة .
فقال الرَّجل : لم أقل ذلك ، إنما قلت له ليس عندي
ما يتعلق به الزكاة . .

ولم يقتنع الحجاج . فقال للرجل :
لابدَّ أن يكون لك قلب أكبر من قلوب الآخرين
ولهذا تجرأت على ردِّ كلامي . .

ثم صاح أيها الجلاد أخرج لي قلبه . .
وبعد لحظات كان النطع ينتظر الرَّجل . حيث شدَّوا
يديه ، وربطوا رجليه ، ثم مدَّوه وشقوا صدره ،

وأخرجوا قلبه ، وقدموه إلى الحجاج .

كان القلب لا يزال يضطرب . . ولما أخذه الحجاج
ضحك ضحكة هادئة ثم قال :
لا . . لا لم يكن قلبه كبيراً . ردّوا إليه قلبه وادفنوه .



والحجاج لم يكن النموذج الوحيد الذي ظهر في
التاريخ للمرة الأولى والأخيرة ، وإنما هو شخصية يمكن
أن تعود في أي وقت ، بمجرد أن تصبح الظروف مماثلة
لظروف الحجاج .

ولقد تكررت هذه الشخصية في مناطق عديدة من
العالم ، قبل الحجاج وبعده ، ويمكن أن تتكرر الآن
وبعد الآن .



وهكذا نرى : أن أية معصية - فردية أم إجتماعية -
يقابلها ردّ فعل تساويه في القوة وتحالفها في
الاتجاه . .

قواعد السلوك السليم

* ١ *

تحوّل الى مربى نفسك

بإمكان كل إنسان أن يساهم في رفع مكانته ، بشرط أن يتحوّل من عبد لرغباته وشهواته إلى أستاذ لنفسه ، فيسيطر على ذاته ، ويخلق منها شخصية رسالية ذات تأثير على الآخرين . .

فالذي يقدر على نفسه هو وحده القادر على الآخرين وبالعكس فأنّ من لا يقدر على نفسه يستحيل عليه أن يؤثر في الآخرين . .

والآن . . فأنّ عليك أن تطرح على ذاتك السؤال التالي :

هل أنا أستاذ ذاتي أم تلميذ شهواتي ؟
فإذا كنت حتى الآن منساقاً مع رغباتك فان عليك أن

تحاول تربية نفسك عن طريق « الإنتباه الارادي »
ومراقبة الذات ومحاسبتها ، فسرعان ما تجد كأن معجزة
تحققت في نفسك . .

ومع أن مراقبة الذات ، ومحاسبتها قد لا تترك أثراً
عاجلاً في بعض الأفراد ، لكنها ستترك حتماً الأثر
الكلي ، في المدى الطويل .

ولهذا فان الإسلام يأمر بذلك قائلاً :

« ليس منا من لا يحاسب نفسه كل يوم ، فان عمل
سوءاً استغفر الله وتاب إليه . وإن عمل حسناً إستزاد
منه » .

من هنا فان من الضروري جداً أن تعين وقتاً محدداً
كل مساء تراجع فيه مواقفك وسلوكك خلال النهار ،
ثم تحاول مجانبة كل ما ارتكبته مما يخالف الخلق الكريم
في اليوم التالي .

وهكذا التمرين البسيط يكفل لك مراقبة الذات ،
ويحوّلك بالتدريج إلى أستاذ لنفسك .

كما أنه يحذف أكبر عقبة في طريق محاسبة النفس أعني
بها الإرتجال في خلق المعاذير وخداع الذات عن طريق

إلقاء التبعة على الآخرين ، أو على الظروف ، بينما ليست هي إلا تبعات تتحملها أنت . .

إن الذين يعزمون - بصدق - السيطرة على الذات يرفضون الأعذار الفارغة التي يبرّر بها المنساقون وراء شهواتهم ، مواقفهم وعجزهم مثل :

« لم أستطع أن أمتلك نفسي » .

« لقد منعتني الظروف » .

« فرضوا عليّ ذلك الموقف » .

« لقد دُفعت إلى ذلك دفعاً » .

وإنما يواجهون أنفسهم بشجاعة قائلين لها :
« أنا لم أشأ ذلك » . .

ثم يوطدون العزم على ملافاة موقفهم السابق .

يقول علماء النفس : ان أفضل طريقة للتخلص من العادات السيئة هو تحليل النفس لذاتها في غير محاباة أو مؤاربة . وهم يقدّمون ، لمن إعتاد على سلوك غير نزيه ، النصيحة التالية :

لا تخف من مواجهة نقائصك وعيوبك ، فهذه المواجهة أفضل ما لديك للتخلص من العيوب

والنقائص ، إنها شرط أساسي للسير في معراج الكمال . ولكن يجب الحذر من تضخيم النقائص أو المبالغة فيها ، واعلم أن كل النقائص يمكن إزالتها ، فليست هناك صفة مذمومة إطلاقاً لا يمكن التخلص منها . .

ان إمتحاناً دقيقاً واعياً نزيهاً كهذا تمتحن به نفسك بين وقت وآخر يفضي بك إلى إنعاش الحياة الداخلية ، وتركيز أفكارك حول نفسك وهذا كفيل بتنمية قدرة « السيطرة على الذات » فيك . .

وهنا لابد أن نذكر أهمية الإيحاء الذاتي في خلق سلطة الإنسان على نفسه .

فالذين يريدون إمتلاك صفة معينة ، أو يريدون كنس خلق ذميم ، أو تصليح سلوك منحرف يجدون في الإيحاء الذاتي خير معين لهم إلى ذلك . .

والإيحاء الذاتي لا يعني مجرد التلفظ بما تريده وإنما يعني التحدث مع النفس أكثر من التلفظ .

فإذا أحرزت السيطرة على ذاتك ، واطاعة الله ، والتخلق بالنبل والشجاعة ، والإقلاع عن الخمود

والكسل ، فان عليك أن تكرر مع نفسك كل صباح
هذه الكلمات :

أنا المسيطر على نفسي

أنا مطيع لله

أنا سأكون طيباً

أنا شجاع

أنا لن أكون خادماً كسولاً .

ومع مرور الأيام فان كل ذلك سيتسّمّر في كيائك ،
ويطبع سيرتك الخاصة والعامة به ، ويتخذ صفة القانون
الذي يحكم تصرفاتك .



* ٢ *

الصفات النبيلة ضمانة النجاح

الذين نجحوا في التاريخ ، كانوا جميعاً ، يتصفون بالصفات الإنسانية النبيلة ، فالروح الصادقة الصافية ، تترك أثراً حسناً في المجتمع الذين يعيشون فيه ، وبمرور الزمن يعشق المجتمع صفاتهم النبيلة ، ويتجه من غير شعور منه إلى تقليد تصرفاتهم . .

أن الذين يعيشون حول شخصية قيادية نبيلة يندهشون غالباً عندما يتعدون عنه ، إذ يجدون أنفسهم « مقلدين » إجبارياً ، لأفعال تلك الشخصية .

والسؤال الآن هو : كيف تملك صفات نبيلة ؟

قبل كل شيء لابد ان تعرف أنه من دون أن تريد
بجدية إمتلاك صفات نبيلة ، لا يمكن أن تحصل
عليها ..

فالهم هو أولاً « الإرادة الجدية » . فكل العظماء ،
والعلماء ، والأدباء ، الذين ذكرهم التاريخ بالإكبار
والتمجيد ، كانوا قبل أي شيء دون إرادة وكانت
إرادتهم - كما يذكر المؤرخون - العامل الأول فيما حققوا
وانتهوا إليه من مجد ورفعة وخلود ..

وطبعاً ليست الإرادة الجديّة وقفاً على قلة من الناس
يولدون بها ، ويموتون بها أيضاً ..

فالإرادة أيضاً شيء يمكن إمتلاكه لكل إنسان .
ولكنّها لا تتقوى في الفراغ بل لابد من تسليطه على نقطة
معينة والتركيز عليها حتى تعتمد على قوتها هناك ، في
تقويتها في الأماكن الأخرى .

لنفرض أنك تريد إمتلاك : الصدق . المروءة .
العفاف . الكرامة ، لا بأس .. فركّز كل إهتمامك
على الصدق ، وحاول تحقيق إرادتك في الحصول عليه ،
وعندما تقوي إرادتك في ذلك إستعملها في تحصيل

المروءة ، والعفاف ، والكرامة ، فأنتك ستجد نفسك أمام مهمة سهلة جداً . .

وبالعكس فأنتك قد تعرف ذاتك . . تعرف عنها الشراسة والكذب ، وحب الذات ، ولكنك تعجز عن معالجتها وقد تقول انك تحاول العلاج عدة مرات ، وتفشل فيتولد في لا شعورك إحساس بأنك عاجز عن معالجة أخطائك ، وملافاة معاصيك ، ولهذا فأنتك كلما تقدم على الإقلاع عن معصية يوحى إليك لا شعورك بأنك فاشل منذ البداية ، وفعلاً فأنت فاشل .

لماذا . ؟

لأنك منهار نفسياً قبل أن تبدأ في المعركة . معركة الجهاد مع النفس ، والذي يدخل المعركة - أية معركة - بأعصاب منهارة فانه لا يمكن أن يكسبها .

ولكن لو بدأت بالأصغر ، أي بدأت معالجة المعصية الصغيرة أو السلوك السيء الأضعف ، وعبئت جهودك من أجل القضاء عليه ، ثم بعد ذلك عمدت إلى المعاصي الكبيرة ، أو السلوك الأكثر إستحكاماً فيك ، فإنك ستنجح في ذلك ، ويتولد في لا شعورك إحساس

بقدرتك على معالجة ذاتك ، والقضاء على عاداتك السيئة . .

وهكذا نجد ان الطريقة المثلى في الإقلاع عن العادات السيئة والمعاصي ، ليست بالتصميم على تركها مرة واحدة وإنما هي بالتدرج فيها ، بعد تقوية الإرادة بها .

وربما كان هذا هو الأسلوب الذي اتبعه الرسول الأعظم مع ذلك الرجل الذي قال له :

« يارسول الله إنني عن معصية واحدة أتركها ، فاني لا أقدر على ترك كل المعاصي » .

فقال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :
أصدق ولا تكذب .

وكان الرجل كما يبدو يرتكب أكثر المعاصي ، وقد إعتاد عليها ، وكانت كلُّها من النوع المستحكم فيه بينما كان « الكذب » أضعف العادات السيئة فيه ، وعندما أقالع عن الكذب إستطاع أن يقلع عن كل المعاصي بما فيها الزنا . .

لماذا ؟

لأن إرادته « تقوّت » بالقضاء على الكذب وعندما

عمد إلى المعاصي الأقوى ، كانت إرادته على مستوى
المعصية ذاتها ، فقضت عليها ..

—

—

—

—

—

—

—

—

—

* ٣ *

أنت فوق ما تتصور

في كل إنسان مخزون هائل من الطاقات . . ولا يعرف هذه الطاقات إلا من يستغلها .

فأنا وأنت يمكن أن نصبح من أقدر خطباء التاريخ ، وأكبر رجاله ، وأعظم كتّابه ، وأكثر الناس تأثيراً على مجراه .

ولكن كل ذلك يحتاج إلى بذل جهود ، وهو حتماً ممكن .

إنَّ العلم الحديث اكتشف أن أعظم الرجال لم يستغلوا من طاقاتهم سوى ٩٪ فقط ، وأن ٩١٪ من طاقاتهم تبقى معطّلة .

هذا في العظماء ، من العباقرة والسياسيين وكبار المؤلفين ، أما الآخرين فانهم قد لا يستغلُّون سوى $\frac{1}{4}$ و % من طاقاتهم . .

والسؤال الآن هو : لماذا يهدر الناس طاقاتهم ؟ وكيف تُهدَّر ؟

والجواب : إنَّ الذي لا يعرف قيمة نفسه يمكن أن يذبحها بسهولة على صخرة الجهل . فأنت الذي لا تعرف أن بإمكانك أن تقوم بدور كبير في حياة أُمَّتك ، ستهدر طاقاتك كلها من أجل دكان بسيط أو قضية حقيرة ، ظاناً أن القيام بأدوار كبيرة هو خارج من قدرتك .

وهكذا تقتل ذاتك بجهلك بقدراتك .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« هلك امرؤ لا يعرف قدره » ويقول :

« لا تقولنَّ فلان أولى بفعل الخير مِنِّي ، فإنه سيكون كذلك . . » .

* ٤ *

إختر قدوة حسنة

كل إنسان يتأثر بالإشخاص الأقوياء الذين
يصادقهم ، أو يقرأ عنهم . .

فإذا كان الشخص الذي يتأثر به ، ذا صفات نبيلة
فلا شك انه يصبح بمرور الزمن صاحب صفات
نبيلة . . والعكس بالعكس . .

من هنا فإن إختيار القدوة ، ضروري من أجل محاولة
الإرتفاع في سلّم الحياة . .

فمن تختار في قدوتك ؟

إن الأنبياء هم خير قدوة . ويأتي بعدهم الأئمة ويأتي
بعد الأئمة حواريمهم . .

ومطالعة حياة هؤلاء - أو على الأقل - واحد منهم
ضروري من أجل محاولة تقمص شخصيته ..

أن أفضل ما يجعلك طيباً ، قوياً ، حازماً هو أن
تطالع سيرة الأبطال الذين خدموا الآخرين ونهضوا
بالشعوب ، وكانت أعمالهم كلها تتجه نحو الخير
الشامل ، من دون أن يستهدفوا بذلك أية منافع
شخصية .

فأنت إذا تدبرت ما يفعله شعور الفرد بإعجاب
الناس الذي تحيط الأبطال والشجعان وأصحاب النفوس
الطيبة ، وعرفت كيف تخلق في نفسك عاطفة الإحترام
لكل من جاهد من أجل الآخرين وقعت على ظاهرة
عجيبة - كما يذكر علماء النفس - وهي إنتقال هذه
العواطف من حيز العقل الباطن في ساعة الخطر المدهم
والظرف العصيب إلى نهار العمل البطولي الرائع ..

من هنا نرى أن كل الشعوب التي استطاعت أن
تعملق في الحياة كانت تحتفظ دائماً بعظماء تجعلهم نصب
عينها ، وتصوغ منهم « قدوات » في كل حركاتهم
وسكناتهم ..

ولأنّ الأنبياء والأئمة ، كانوا يملكون أنبل الصفات ،
وأروع السجايا ، وكانت مواقفهم البطولية من أروع ما
شاهدت الأرض من مواقف ، فإنهم أفضل من يمكن أن
يضعهم الإنسان نصب عينيه ، محاولاً الاقتداء بهم في
معتك الحياة ..

يقول القرآن الكريم :
﴿ ولکم فی رسول اللہ أسوة حسنة ﴾ .



الخطوة الأولى . . تجنبها

أخطر ما يواجه الإنسان في حياته السلوكية ، هو إستهانتته بالخطوة الأولى في الرذيلة . أنه يفكر مع نفسه هل ستقع كارثة إذا كذبت مرة واحدة ؟ هل ستسقط السماء على الأرض ، إن استعملت العادة السرية مرة واحدة ؟ هل سأصبح ذميم الخلق ؟ إذا أستهنت بإخوتي في الدين ؟

ويأتيه الجواب - لا . .

وبذلك ينساق من حيث لا يعرف في التيار الساقط في الرذيلة .

ويذكر علماء النفس في تعليل ذلك علمياً : ان الخطيئة الأولى مهما كانت ضئيلة تُضعف ، أضعافاً ذا

أهمية ومعنى ، تلك القوّة المشرفة التي تدير المناطق العليا من النفس ، حيث يستقرّ « الحكم » وإليها يرجع الأمر في إدارة اللاوعي من بُعد . .

ولذا فإن الذي يريد أن يكون مسيطراً على نفسه تجاه الأشياء المهمة ، والشهوات الحادّة ، يتحمّ عليه أن يسيطر على نفسه في البداية تجاه الأشياء البسيطة وأن يضبط تصرّفاته في الأمور الدقيقة . .

فمن يريد أن يسيطر على نفسه تجاه حالة الزنا ، لا بد أن يسيطر على نفسه تجاه النظرة الأولى إلى الفتاة الأجنبية . .

ومن يريد أن يصبح شجاعاً في المواقف المهمة أن يمارس الشجاعة أولاً في المواقف البسيطة .

تماماً كما أن من يريد الإقلاع عن الصفات الذميمة ، أو العادات السيئة ، عليه أن يبدأ بأبسطها ، فيقلع عنها ، ثم يتدرج إلى أعلى ، وليس صحيحاً أن يبدأ بأقواها ، لأن العادة البسيطة يمكن إزالتها بسهولة مما يولد لدى صاحبها شعوراً بالسيطرة على نفسه ، وعندما يعمد - بعد ذلك - إلى العادة المتحكمة عليه فانه لن يجد صعوبة

كبيرة في إزالتها . بينما لو عَمَدَ إلى العادة الأقوى فإنه قد
يخفق في القضاء عليها مما يولّد لديه شعوراً بالعجز عن
مقاومة عاداته . .

إذن . . فلكي لا تقع في العادات السيئة امتنع عن
الخطوة الأولى . .

هذه الرذائل تقتل ذاتك

هناك صفات معينة ، في النفس والسلوك ، عندما
تعشعش في ذات إنسان ، فإنها تقتل ذاته ، وتقضي
عليه من حيث يشعر أو لا يشعر . .

وهي قد تبدو بسيطة ، ولكنها كالنار ، يمكن أن
تحرق في الفرد روح التفاؤل ، والحركة ، والعمل ،
فيعيش معها ثلاثين ، أو أربعين عاماً من غير أن
يستطيع إنجاز أي شيء . فيولد إنساناً ويموت
حشرة . .

فما هي تلك الصفات ؟
أولاً - الجهل .

ان الجهل داء قاتل ، لأنه يترك صاحبه منغلق
الحواس ، ومن ثم فإنه ينسج من الخيال « معلومات »

لا رأس لها ولا ذيل ، وبذلك يُحَرِّم القدرة على الفعل ،
والعمل ..

يقول الإمام علي (عليه السلام) :
« لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث
كالأدب » .

ويقول الإمام الرضا (عليه السلام) :
« صديق كل امرء عقله وعدوه جهله » .

ويقول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :
« العلم حياة القلوب ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم
في الخير قادة تقتبس آثارهم ، ويقتدي بأفعالهم ،
وينتهي إلى آرائهم » .

ثانياً - الجبن والحجل .

يقول المثل :
فاز باللذات من كان جسوراً .

ذلك لأن الجبن عن الإقدام ، يفضي بالإنسان إلى
التأخر .. وإذا سئلت أي ناجح في الحياة أن يحكي لك
قصة نجاحه لرأيت كيف أنها تدور حول نقطة واحدة
هي :

الإقدام . والجرأة في خوض الغمار من أجل الوصول
إلى الهدف ..

أما الفاشلون في الحياة ، فانهم ولا شك يعانون من
الجبن والخجل ..

فالجبن ، الذي يكون حليفاً للفشل ، يأتي من
ضعف الإنسان النفسي ..
وكذلك الخجل .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :
« قرنت الهيبة (الخوف من الشيء) بالخيبة (في
الوصول إلى الهدف) . » .

ولذلك ورد في الحديث :
« ان الله يحب الرجل الشجاع ولو بقتل حية » .
أمّا الخجل ، فانه آفة تستبد بصاحبها إلى درجة انها
تشل فيه المواهب والكفاءات ..

ويمكن القضاء على ذلك بالممارسة . فالجبن لا بد من
معالجته ، بالوقوع في أي أمر يخافه الإنسان .
وكما يقول الإمام علي (عليه السلام) : « إذا خفت

من أمر فقع فيه .
أما الخجل ، فيمكن رفعه بالإيحاء بالشجاعة ،
والولع بها ، والتمرين عليها . .

فإذا كنت تحجل مثلاً في الخطابة ، فان باستطاعتك
أن تتمرن يومياً في مكان لا أحد فيه ، بعد أن تفترض
وجود جماهير صاغية إليك . . وبتكرار هذا التمرين
ستجد نفسك شجاعاً في مخاطبة الجماهير . ويذكر أن
أقدر خطيب في التاريخ ، كان يعاني من تلثم في
لسانه ، فكان من صغره خجولاً ولكنه كان يذهب إلى
البحر ، ويفترضه قاعة تكتض بالناس فيخطب لهم ،
وهكذا قتل الخجل نفسه . .

ثالثاً - الإنسياق وراء الشهوات .

خلق الله في الإنسان شهوات كثيرة ، وجعلها عامل
بناء ، وحذر من الإنسياق ورائها حتى لا تتحول إلى
عامل هدم .

والشهوة مثل برميل البارود ، إذا فجرها الإنسان
فإنها ستدمر كل ما هو قريب منها بلا تمييز . .

الشهوة ، قد تسيطر على من لا يضرب حولها حصاراً

من الإرادة ، وتنزلق به إلى درجة يصبح عبداً حقيراً لها . . . وبذلك يهدر كل قدراته ، وإمكاناته .

ويمكنك أن تتطلع إلى أيّ شارع حولك لتجد عشرات من الشباب « الباحثين عن اللذة » كيف يدّمرون حياتهم ، ويلهثون وراء الجنس والسكر والمخدرات ، والقمار ، بينما باستطاعة كل واحد منهم أن يصبح مخترعاً عالمياً ، أو سياسياً قديراً ، أو عالم فضاء عظيم . .

رابعاً - الحقد .

أن تحقد على إنسان يعني : أن تحقد على نفسك . .
فالحقد يحملك إلى تركيز تفكيرك وجهودك ، وإمكاناتك على « عدوك » ومن ثم فإنك تضحي بوقتك وطاقتك من أجل غيرك . .

ولذلك فإن علماء النفس ينصحون الإنسان :
لا تسمح لأحد - كائناً من كان - أن يجرك إلى قتل وقتك وجهدك بحثاً عن ردّ محكم ، أو جواب مفحم ، أو القيام بمشاحنات لا طعم لها ولا جني منها ، فإنّ إجتراح الضغائن ، وتوثبات الحقد والكراهية والتأملات

السود الناجمة عن غريزة الإنتقام توازي جميعها إشاعة
الفوضى في داخل النفس وتقتل حيوية الفكر البناء ،
وكلاهما مما يقرّ عين الخصم ، فهو يرضيه أن تفعل
بنفسك ما لا يقوى غيرك على فعله بها في داخلها ..

ويذكر العلماء : ان الإنسان يرسل ، أو على الأصح
يشع ، من ذاته اشعاعات ، خلال الأبعاد ذات نفوذ
ذهني ، يجعل الأفكار العدوانية تنعكس على أذهان من
نعادهم ، فتوجد في أنفسهم أفكاراً عدوانية مضادة لنا ،
مشابهة لأفكارنا عنهم ..

فنحن قوى تتفاعل فيما بينها ، كل واحد يؤثر على
الثاني ، خيراً بخير وشرّاً بشر ، فهناك « الفضاء
الفارغ » الذي يربط الناس بعضهم ببعض كما يربط
الأشياء ، ولذلك فنحن أعضاء لجسم واحد ، ولذلك
فإنّ الفكرة الرديئة كالفعلة الشريرة ليست غير نبضة
أليمة تهتز بين ملايين الملايين من الكيانات العضوية ..

والحق ، من هذه الجهة ، قوّة ينفقها المرء لتحطيم
نفسه بدداً ، لأنّ الحق - كما يقول علماء النفس - قوّة
مخرّبة .

من هنا قال الرَّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :
« ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال : يا محمد أتق شحناء
الرَّجال وعداوتهم » .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) :
« من زرع العداوة حصداً ما بذر » .

غير أن ذلك خاص بالحق على « الأشخاص » أما
الحق على « الصفات الذميمة » فهو حق مقدس ، يبني
في الإنسان بنيان الخير ، وينمي في ذاته القدرة على
دحض الشرور . . ولذلك ورد في الحديث : « كن عدوَّ
نفسك » أي عدوَّ صفاتها الذميمة وقاومها في المغريات
مقاومة الحقود على الصفة المذمومة . .

خامساً - التسرع

الهدوء في اتخاذ القرار ، والتفكير قبل ذلك شرط
ضروري لصوابية القرار ، والحفاظ على رباطة
الجأش . .

ان العجول في الإجابة ، أو اتخاذ القرار ينتهي إلى
خسران كل هبة في النفوس ، ومن ثم إلى خسران

إحترامه لنفسه . .

ودواء ذلك يكمن في تكوين « عادة تفكيرية » يسبق الكلام ، أو اتخاذ الموقف .

ولهذا جاء في الحديث :

« العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن » .

سادساً - التشاؤم .

بعض الناس يصابون بالتشاؤم في وسط الطريق ، ولذلك فانهم سرعان ما يتراجعون عن خططهم وبذلك يخسرون الجهود ، والأوقات بلا مبرر . .

والمتشائم ، يفوت على نفسه فرصاً كثيرة تكون متاحة لنجاحه ، أو نجاح خطته ، ولكنه بحكم تشاؤمه يرى الأشياء ، والأشخاص - وربما نفسه أيضاً - في دائرة سوداء ، ولذلك فإنه لا يستطيع أن يضع خطة إلا للتراجع إلى الوراء . .

أن كل الناجحين في الحياة ، كانوا يتمتعون بنظرة متفائلة إلى العمل ، وإلى المستقبل .

ان كل الذين شيّدوا الحضارات ، إبتداءً بالرسل والأنبياء ، وانتهاء بالتابعين لهم ، كانوا متفائلين ، لا

يكفون عن المحاولة في أحلك الظروف ، ولذلك فانهم كانوا يجهدون ويعملون ، واثقين من انهم المنتصرون لا محالة .

ويذكر علماء النفس : انَّ أولى جنایات المتشائم تنصب عليه هو ، حيث يترك التشاؤم على نفسيته آثاراً سيئة ، ثم تمتد هذه الآثار لتعمَّ الشعب والمجتمع والأمة جميعاً .

وأولى هذه الجنایات - كما يذكرها علماء النفس - هي :

« التشويه على العقل » .

فالتشاؤم يمنع الذكاء من التحرك ، كما انه يحول بين العقل وبين التفكير الموضوعي ، والحكم السليم . فالمتشائم يوحى إلى نفسه بآراء خاطئة ، يصوغها بالسلبية ، عن الأشخاص او الحوادث ، فلا يلبث أن يطبقها أو يأخذ بها من دون أن يشعر بما فيها من أغلاط وأخطاء ، ومن يخطأ في اتجاهه يدير ظهره للهدف ، من غير أن يشعر ، وبذلك يخسر إلى الأبد .

والجناية الثانية - هي انَّ التشاؤم ينزع بصاحبه إلى

« إستلذذ الكآبة » أو « التلذذ بالألم » وهو تلذذ غير صحي ، لأنه يؤدي بصاحبه إلى الإنطواء على الذات ، وتجميد الفكر ، والتهرب من « الفعل » في الحياة ، بالإنفعال الذاتي بالأحداث .

ان المتشائم ، ينمّي في نفسه من حيث لا يعرف ، خور الهمة ، والحقد ، والتخريب ، والغيرة والحسد ، والأنانية .

سابعاً - سرعة الغضب .

الذين يغضبون يدمّرون أنفسهم .

تلك حقيقة اكتشفها العلم الحديث ، فالغضب يؤدي إلى فساد الدّم ، وارتباك الأعصاب ، ولذلك فان الذين يعانون من سرعة الغضب لا يستطيعون أن يسيطروا على أنفسهم ، وغالباً يموتون مبكّرين .

يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل «

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« الغضب مفتاح كل شر » . ويقول :

« من لم يملك غضبه لم يملك عقله » .

أمّا الحليم الذي يتحطّم على صدره جهل الأحمق وحق الجاهل ، فإنّه ليس فقط يستطيع أن يكسب ودّ الناس حتى أعدائه ، ولكنّه يستطيع أن يصلح أعصابه ، ويهدأها ، ويتخذ القرارات الصائبة .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك . ولكن أن يكثر علمك ويعظم حلمك » .

إنّ الحليم ، عكس الغضوب ، يفرض إحترامه على الناس جميعاً بمن فيهم من الأعداء ، لأنّهم لا يملكون إزاء حلمه إلّا التواضع له . .

ولذلك قال الإمام الصادق : « كفى بالحلم ناصراً » .

ثامناً - التكبر .

التكبر يعني أن ترى نفسك فوق الناس . وهذه الرذيلة تمنع صاحبها من إمكانية الحصول على مكارم الأخلاق ، كما أنّها تنفّر الناس من حوله .

فالمتكبر ، يفرض على الناس التكبر عليه ، لأنَّ
الناس ليسوا مستعدين للتواضع أمام المتكبر ، بينما
يجدون أنفسهم مضطرين إلى التواضع أمام كل من
يتواضع لهم .

أَنَّ الطَّيِّبَ هو الذي يرى نفسه « أَقْلٌ » من أخوانه ،
أو يعترف بتساويه مع الآخرين .

يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَخَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

فما دام الإنسان لا يستطيع أن يخرق الأرض - هذه
التي يدوسها برجليه - ولا أن يطاول الجبال التي يفتتها ،
فإنَّ عليه أن يتواضع ، وإلَّا لكان مصيره كما قال الله :
﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

يقول السيد المسيح :

« كما أن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على
الصفاء ، كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا
تعمر في قلب المتكبر ، ألا ترون أن من يتشمخ برأسه

إلى السقف يشجُّه ، ومن يُطأطأ له يُظَلِّه ؟ » .

يقول الرسول الأعظم :

« ان التواضع لا يزيد العبد إلا رفعةً فتواضعوا
يرحمكم الله » .

ويقول : « إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا
لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم » .
تاسعاً - الحسد .

هناك صفتان متقاربتان أحدهما : جيدة جداً والثانية
سيئة جداً . التحاسد ، والتنافس فالتحاسد تأكل
اللذات ، بينما التنافس تزيد من فاعليته . .

والتحاسد تعني : السعي من أجل إزاحة ما على
الآخرين من النعم .

بينما التنافس تعني : السعي من أجل إمتلاك ما
يمتلكه الآخرون . .

وبمقدار ما يكون التحاسد مذموماً ، يكون التنافس
التزيه مطلوباً . .

أن أكثر الناس يتصرفون بدافع من التنافس فالطالب

الذي يجد لنيل الشهادة ، لم يكن يفعل ذلك لولا ما يراه من إخوانه ، وأقرانه ، وكذلك التاجر ، والملاّك ، وحتى العالم .

فالتنافس في العلم والنبيل والطيب مطلوب ولكن بشرط أن لا يتحوّل إلى تحاسد ، لأنّ التحاسد يؤدي بكل طرف إلى العمل من أجل سحق الآخر . . وهذا ما يخرّب البلاد والعباد .

يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »

والحسود ، يأكل نفسه ، ويهشم أعصابه ، وبذلك يقضي على كفاءاته قبل أن يقضي على منافسه .

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يكون مضرّاً بالمحسود » .

عاشراً - عدم الطاعة .

بعض الناس « لَيّنون » يطيعون الموجهين الرّساليين .
وبعضهم « متمردون » يحاولون في كل وقت أن يثبتوا

تفوّقهم عن طريق التمرد فهم لا يتألفون ، ومن ثم فلا
يتأتى للموجه هدايتهم إلى الطريق المستقيم . .

وعدم الطاعة : قد ينشأ من عقدة في ذات
الشخص ، فهو يعاني من « مركّب النقص » مثلاً ،
ويحاول أن يثار لها بالتعالي ، والتكبر ، وعدم الطاعة .

إنّ هؤلاء يخسرون الكثير بتمردهم ، لأنّ الموجهين
ربما ملؤ طرائقهم ، وتركوهم إلى أناس آخرين ليقوموا
بتربيتهم بدلاً عنهم .

يقول الله تعالى :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ .

کیف یرئینا الاسلام؟

كيف يريدنا الإسلام ؟

للأجابة على ذلك لابد أن نعود إلى مصادره
الأصيلة ، لنستعرض بشكل خاطف ، البنود السلوكية
التي تؤكد أنه لا يوجد لها مثيل في أي دين ، أو
أيديولوجية ، سواء السماوية منها أم البشرية ..

وإليكم فيما يلي نصوص من ذلك ..

* إياكم والحسد ، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما

تأكل النار الخطب .. !

* إياكم والطمع ، فإنه هو الفقر الحاضر ..

* إياكم والكِبَر ، فإن ابليس حمله الكبر على أن لا

يسجد لآدم ، وإياكم والحرص ، فإن آدم حمله الحرص

على أن يأكل من الشجرة ، وإياكم والحسد ، فإن ابني

آدم إنَّما قتل أحدهما صاحبه حسداً فهنَّ أصل كل خطيئة . !

* إياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل ، ولا يعد الرجل صبيّه لا يفي له ، وان الكذب يهدي إلى الفجور ، وان الفجور يهدي إلى النار . وان الصدق يهدي الى البرّ ، وان البر يهدي إلى الجنة . ! . !

* إياك والتسويف بأَمَلِك ، فانَّك ليومك ، ولست لما بعد ، فان يك غدٌ لك فكن في الغد كما كنت في اليوم . وان لم يكن غدٌ لك لم تندم على ما فرطت في اليوم . ! . !

* إياك وخصلتين : الضجر والكسل ، فانَّك إن ضجرت لم تصبر على حق ، وان كسلت لم تؤد حقاً . ! . !

* إياك وقرين السوء فانك به تُعرف . ! . !

* أيُّها الناس : ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلکم لآدم ، وآدم من تراب ، ان اكرمکم عند الله اتقاکم . لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . ! . !
* ان الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ،

- أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه . . !
- * ان من موجبات المغفرة بذل السلام ، وحسن الكلام . . !
- * ان من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المؤمن . . !
- * ان من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وألطفهم بأهله . . !
- * ان من أعظم الخطايا ، من اقتطع مال امريء مسلم بغير حق ، وان من الحسنات ، عيادة المريض . . !
- * ان المتحايين في الله في ظل العرش . . !
- * ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم . . !
- * عاتب أخاك بالإحسان إليه . وأردد شره بالإنعام عليه . . !
- * احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك . . !
- * بالتواضع تتم النعمة . وبالسيرة العادلة يقهر المناويء . . !

* افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً ، فإن صغيره كبير
وقليله كثير ، ولا تقولن أحدكم : أن أحداً أولى بفعل
الخير مني ، فإنه يكون - والله - كذلك . ان للخير
أهلاً . وان للشر أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه
أهله . . !

* لا تكن ولياً لله في العلانية ، وعدو الله في
السِّرِّ . . !

* أكبر العيب : أن تعيب ما فيه مثلك . . !

* بئس الزاد الى المعاد : العدوان على المعاد . . !

* ملعون ملعون من وضع كله على الناس . . !

* بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يُطري

أخاه شاهداً ويأكله غائباً ، ان أُعطي (أخوه) حسده ،

وان ابتلى خذله . . !

* من آذى جاره حرّم الله عليه ربح الجنة ، ومن

ضَيّع حق جاره فليس منّا . . !

* ان الله يحب معالي الأمور وأشرفها ، ويكره

سفاسفها . . !

* ان الله ليسأل العبد عن جاهه (المكانة

الاجتماعية) كما يسأل عن ماله وعمره ، فيقول :

جعلت لك جاهاً ، فهل نصرت به مظلوماً ؟ أو
قمعت به ظالماً ؟ أو أعنت به مكروباً ؟ ! . .

* ان الله يحب البصر الناقد ، النافذ عند مجيء
الشهوات ، والكامل عند نزول الشبهات ، يحب
السماحة ولو على ثمرة ، ويحب الشجاعة ولو على قتل
حيّة . . !

* ان الله عز وجل احب الكذب في الصلاح ،
وأبغض الصدق في الفساد ! . .

* ان الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن
يتقنه . . !

* ان الله تعالى لي بغض المؤمن الضعيف الذي لا
دين له . .

قيل : من المؤمن الذي لا دين له ؟

فأجاب : « الذي لا ينهى عن المنكر » . . !

* ان الله تعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون في
الدنيا . . !

* ان الله تعالى يحب من عبده إذا خرج إلى اخوانه
أن يتهاى لهم ويتجمل . . !

* ان الله تعالى يبغض الوسخ والشعث . . !

* ان الله تعالى يبغض البخيل في حياته ، السخيّ
عند موته . . !

* ان الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم ، حتى
في القُبل . . !

* ان الله تعالى يبغض المعبّس في وجوه اخوانه . . !
* ان الله لا يقدس أُمَّة لا يعطون الضعيف منهم
حقّه . . !

* ان الله تعالى رفيق ، يحب الرفق ، ويعطي عليه ما
لا يُعطي على العنف . . !

* الإسلام نظيف ، فتنظّفوا ، فإنّه لا يدخل الجنّة
إلّا نظيف . . !

* أشد الناس عذاباً يوم القيامة : عالم لا ينفعه
علمه . . !

* أذلّ الناس من أهان الناس . . !

* إذا كان إثنان يتناجيان فلا تدخل بينهما . . !

* ان يومك ضيفك ، وهو مرتحل . . يحمذك أو
يذمّك . . !

وهذه الأحاديث التي تتعرّض لكل صغيرة وكبيرة
فتذكر حتى مثل مناجاة نفرين ، والوسخ ، وعتاب

الأخ ، إنما تهدف بناء الإنسان في كل جوانبه ، بحيث لا تبقى هناك ثغرة واحدة يمكن أن يدخل منها الشيطان ، أو ينحرف به المنحرفون .

وما ذكرناه هو واحد من المليون ، من الروايات التي تتحدث عن الجوانب السلوكية في الإنسان وهي بهذا العمق والشمول خاص بالإسلام ، ولا نجد لها مثيلاً إطلاقاً في أيّ دين . .

إعتذار . .

اللهم . . إني أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي
فلم أنصره . ومن معروف أسدى إليّ فلم أشكره . ومن
سيء إعتذر إليّ فلم أعذره . ومن ذي فاقة سئلي فلم
أؤثره . ومن حق ذي حق لزمي فلم أوفّره . ومن عيب
مؤمن ظهر لي فلم أستره . ومن كل إثم عرض لي فلم
أهجره . !

اللهم . . أعتذر إليك منهم ومن نظائرهن ، إعتذار
ندامة يكون واعظاً لما بين يديّ من أشباههن . !

الصحيفة السجادية

فهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٩
مقدمة المؤلف	١١
دعاء	١٣
غير المعروف من الإسلام	١٧
المطلوب تجمع مناقبي	٢٥
البحث عن السعادة	٤٥
الإيمان ومن لا إيمان له	٦٧
للمعصية .. رد فعل أيضاً	٩٧
قواعد للسلوك السليم	١٢١
١ - تحوّل إلى مربّي نفسك	١٢٣
٢ - الصفات النبيلة ضمانة النجاح	١٢٩
٣ - أنت فوق ما تتصوّر	١٣٥

١٣٧	٤ - اختر قدوة حسنة
١٤١	٥ - الخطوة الأولى تجنبها
١٤٥	هذه الرذائل تقتل ذاتك
١٦٣	كيف يريدنا الإسلام ؟
١٧٣	إعتذار
١٧٥	الفهرست